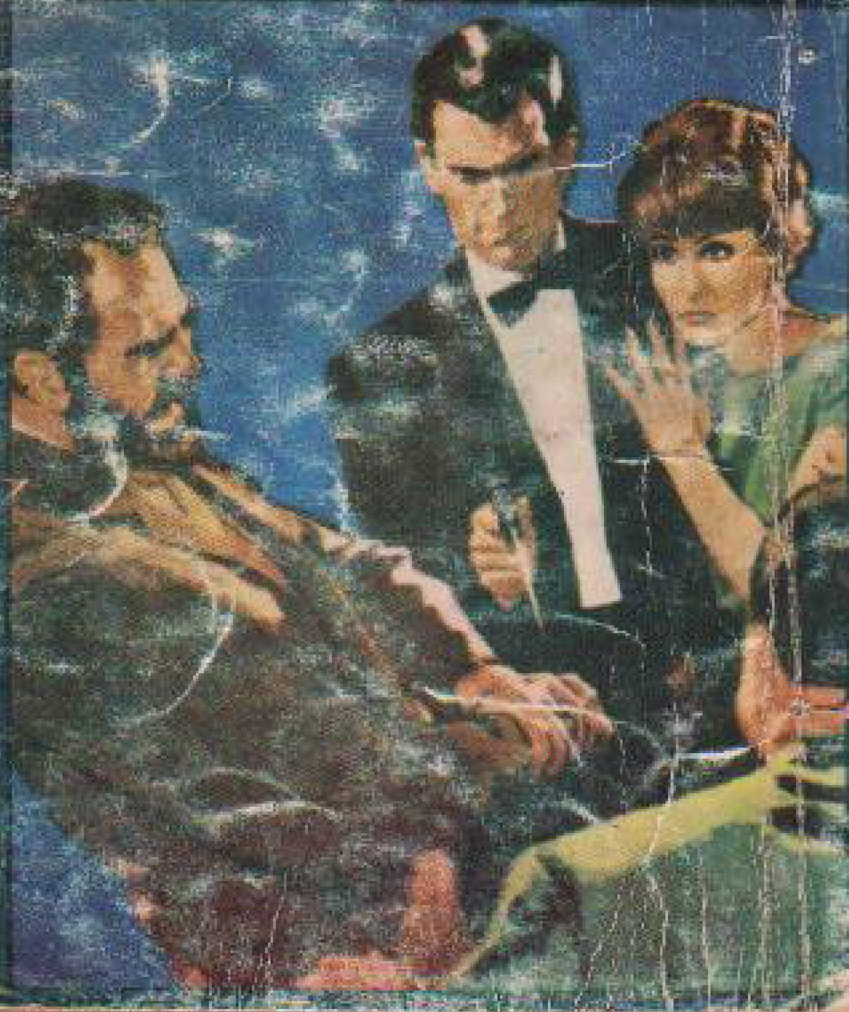
انتقام القديس



القديس

انتقام القديس

رواية بوليسية طريفة حافلة بالمفاجآت

للكاتب الانجليزى
ليسلى تشارتريس

الفصل الأول
المطرب والمريض

اقترب الشرطى ببطء من الرجل الطويل القامة الذى وقف على قارعة الطريق .. وراح يغنى نجاة بصوت مسموع .. مترنما بأنشودة لا هى بالانجليزية .. ولا هى بالفرنسية .

وما زال الشرطى يقترب حتى أصبح على قيد خطوات من هذا المطرب العجيب . وعندئذ تكلم بغتة بلهجة رزينة . هى لهجة الرجل الذى يعرف كيف يمثل القانون فى شارع مقفر فى الساعة الثانية صباحا .

قال :

ــ كفى .. كفى ضوضاء يا هذا .

فصمت الرجل فى الحال . وتحول نحو الشرطى .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة خلابة .

قال فى أدب :

ــ طاب مساؤك .. أو طاب صباحك يا سيدى .

فسأله ممثل القانون :

ــ هل تتصور نفسك على خشبة المسرح ؟

فأجابه الرجل وهو لا يزال يبتسم :

ــ بل كنت أتصور نفسى راكبا جملا أشق به جوف الصحراء .

فصعده الشرطى بنظرة ارتياب ..

ولكن لم يكن فى مظهر الرجل ما يريب ..

كان طويل القامة حسن الهندام .. لا تدل حركاته أو قسمات وجهه على أنه أسرف فى الشراب .

رفع ممثل القانون رأسه بحدة وقال :

ــ ولكن ليس من المسموح لك أن تنهق فى الشوارع هكذا فى الساعة الثانية صباحا .

فأجابه الرجل بصوت حزين :

— أنا لم أنبق .. لقد كنت أغنى .

فقال الشرطي بإصرار :

قلت لك أنك كنت تنبق .

فهز الرجل رأسه في أسف . وأخرج من جيبه علبة تبغ . علبة تبغ تبطن أكثر مما تظهر .. وتناول منها لفافة بريئة قدمها الى ممثل القانون ووضع بين شفتيه لفافة أخرى من النوع الذى قدمه للشرطي . وقال :

— مهما يكن من أمر فانك شخصيا لا يسعك الا أن تنبق طربا متى رأيت مريضا يدخل أحد المنازل محمولا على الأعناق في حين أنه ليس مريضا ..

فقطب ممثل القانون حاجبيه . وغمغم .

— اذا صح هذا كان وراء الأكمة ما وراءها .

فقال الرجل :

— وهذا ما خطر لى .. ولما كنت شغوفا باستطلاع ما وراء الأكام . فانني لم أتمالك من أن أغنى .. أو — على حد تعبيرك — من أن أنبق طربا حين رأيت هذا المريض .. الذى هو ليس مريضا ..

فنظر اليه الشرطي بارتياب مرة أخرى ثم سأله في رفق :

— هل أنت واثق من أنك لم تفرط في الشراب ؟

فأجابه الرجل وهو يبتسم :

— اذا فرضنا انني أسرفت في الشراب فان منظر هذا المريض كان فيه الكفاية لأن يرد صوابي .

انني لم أسرف في الشراب ولكنني مع ذلك أحسب حساب الطوارىء ولهذا أرجوك أن تلاحظ بأنني سأدخل

المنزل الذى حمل اليه المريض وأنا سليم معافى .. محتفظ بكامل قواى العقلية والجثمانية .

وليس في نيتى أن أمكث باختياري في هذا المنزل أكثر من نصف ساعة .. فاذا انتصفت الساعة الثالثة ولم أخرج سليما معافى كما دخلت . فلك أن تقصد الى هذا المنزل وتطالب أصحابه بجثتى .. الى اللقاء أيها العزيز .

وابتسم الشرطي ابتسامة ساخرة .. ومضى في سبيله وهو يغنى .. ويلوح بعصاه في يده .

* * *

ومر الرجل في طريقه بشاب كئيب السحنة . رث الثياب . يحمل تحت ابطه رزمة كبيرة من الطبعات الأولى لجرائد يوم الأحد .. ولكنه لم يعره انتباها .. ولم يحاول بائع الصحف من ناحيته أن يعرض عليه بضاعته .

مضى الرجل في سبيله اذن وهو يترنم ويلوح بعصاه في يده .. وقصد الى منزل في الجانب الآخر من الشارع ووقف أمامه .. وكف في ذات الوقت عن الغناء .

كان هناك سلم يتألف من ثلاث درجات . يؤدى الى باب المنزل .. فصعد الرجل هذه الدرجات ببطء .. وحملق في لوحة نحاسية مثبتة بالجدار .. واستطاع أن يقرأ فيها اسم صاحب المنزل « هنريخ دوسل » .

* * *

وبحث الرجل عن جرس الباب ، ولما وجده .. مد يده ليضغط عليه .

وقبل أن يصل أصبعه الى زر الجرس . دوى فوق رأسه صوت تهشم زجاج .. وتناثرت قطع الزجاج حوله .

وفي ذات الوقت .. ردد سكون الليل صرخة ألم مدوية ..

لم يكن هناك شك فى أنها افلتت من فم رجل يتألم .
وفى هذه اللحظة كذلك . سمع الرجل وراءه صوتا حادا يسأله :
— هل هذا هو المنزل الذى فى نيتك ان تدخله ؟
فنظر الرجل خلفه ورأى الشرطى .
اجابه فى هدوء والابتسامة لا تفارق شفتيه :
— نعم .. هذا هو المنزل .. وبهذه المناسبة .. دعنى اهنئك على خفة حركاتك .. انك اول شرطى استطاع أن يتعقبنى دون ان اسمع موسيقى حذائه الثقيل .
ودق الجرس . ففتح الباب على الاثر .. واطل منه رجل قصير القامة ملىء الجسم اصلع الرأس .
وكان الشرطى لا يزال فى مكانه فسأل :
— ماذا يحدث فى هذا المنزل ؟
فأجابه الرجل الاصلع بهدوء تام :
— لا شىء يا سيدى .
— وهذا الصراخ .. وتحطيم الزجاج .. و ..
— يوجد لدينا مريض مصاب فى عقله .. وهو عرضة فى بعض الاحيان لنوبات عنيفة . ولكننا نعنى به اشد العناية .
فقال الرجل الطويل القامة وهو يبتسم ويلوح بعصاه :
— هذا حسن .. لقد تلقيت رسالتك التليفونية يا مستر دوسل .. فجئت على الفور .
ثم نظر الى الشرطى واستطرد قائلا :
— اننى الطبيب المكلف بمعالجة المريض .. فكن مطمئنا يا سيدى الشرطى .. سوف اريحك من صياحه وصخبه .
قال ذلك ودخل المنزل بكل هدوء وبساطة .. قبل ان يتمكن الشرطى او صاحب المنزل من ان ينطقا بكلمة .

فقال :
— طاب مساؤك يا سيدى الشرطى .
واغلق البـــاب ..
وما كاد ينفرد بصاحب المنزل .. حتى سأله هذا الأخير وهو يصعده بعينيه فى حذر وارتياب :
— هل لى ان اسألك عن معنى هذا ؟؟ اننى لم اتصل بك تليفونيا . ولم يسبق لى التشرف بمعرفتك .
فأجاب الرجل الطويل القامة :
— لقد كان فى نيتى دخول هذا المنزل على كل حال لمقابلتك .. والتحدث اليك ، ولكنى لم احسب حساب الزجاج الذى تحطم والصرخة التى مزقت سكون الليل .. ومهما يكن من امر فاننى دخلت المنزل .. وانتهت المشكلة .
فقال هنريخ دوسل بلهجة المحنق الغاضب :
— تريد مقابلتى والتحدث الى ؟ اية خدمة استطيع اداءها من اجلك ؟
فأجاب الرجل الطويل القامة :
— الامر على العكس .. فالمسألة هى .. اية خدمة استطيع انا ان اؤديها من اجلك ؟
سل ما شئت تجدنى طوع امرك ورهن اشارتك .. ليس عليك الا ان تطلب .. فاذا قلت لى « جئنى بالقمر » مددت يدى فجئتك به .
تقطب دوسل حاجبيه وقال بخشونة :
— هل تعرف كيف تخرج كما دخلت ؟
فهز الرجل الطويل القامة رأسه فى اسف واجاب :
— هذا هو الشىء الذى لا اعرفه .. فاننى قد ادخل البيوت من ابوابها .. ولكنى اخرج عادة من نوافذها .
— اذن سأضطر فى هذه الحالة ان الجأ الى القوة .

وتحول كلما ليدعو احد الخدم او احد الأعوان . فقال له محدثه بلطف :
ــ صبرا لحظة يا مستر دوسل .. انني اريد ان اهمس في اذنك كلمة تهمك ..
ولكن دوسل كان قد فتح فمه وهم بان يصيح مناديا احد اعوانه .
غير ان الزائر لم يمهله .. بل وثب عليه بخفة النمر .. ووضع يده على فمه قبل ان يصيح .
وبدلا من ان يهمس في اذنه الكلمة التي اشار اليها ... اهوى بقبضته على فك دوسل .. فسقط هذا الأخير فاقد الرشد ككتلة من الخشب .
قال الزائر مقلدا صوت دوسل :
ــ حسنا .. تعال معي الى مكتبي .
وصمت لحظة ثم قال بصوته الطبيعي :
ــ شكرا لك يا مستر دوسل .
واحاط جسم دوسل بساعده .. ورفعه بسرعة .. والقى به على كتفه وسار بضع خطوات .. ثم دلف على اول بابه صادفه .
وجد نفسه في غرفة صغيرة .. ولكنه لم يضيع الوقت الثمين بفحص محتويات تلك الغرفة .. بل القى بحمله الثقيل على الارض .. ثم خرج .. واغلق الباب ووضع المفتاح بجيبه .
ولا شك ان الحظ كان بحالفه .. لان احدا من اهل المنزل لم يفطن الى شيء مما حدث ..
وصعد الرجل السلم وثبا وبخفة .. كانه شبح من الاشباح .
كانت الغرفة التي تحطم زجاجها في الطابق الأول من

المنزل .. وكان موقعها فوق الباب الخارجي مباشرة .. فلم يجد الرجل صعوبة في الاهتداء اليها .
وقف ببابها .. وانصت .. ولم يسمع حركة او صوتا .. ففتح الباب بخفة .. ودخل بنشاط .
ولكنه وجد الغرفة خالية . فغمغم قائلا :
ــ يا للشيطان .
ووقف مفكرا لحظة .. ثم انبسطت اسارير وجهه ... وقال لنفسه :
ــ ولكن هذا طبيعي .. نعم .. من الطبيعي ان تكون الغرفة خالية .. اذ لو اصر الشرطي على الدخول لاستطلاع اسباب الصياح وتهشيم الزجاج . لجاء به القوم الى هنا .. وهم لذلك قد حملوا المريض المزعوم الى غرفة أخرى ... يحتمل ان تكون في الطابق الثاني .
وخرج من الغرفة باسرع من لمح البصر .. وصعد السلم وثبا الى الطابق الثاني .
ولكنه لم يكد يصل الى قمة السلم .. حتى خرج من احدى الغرف رجل بشع الخلقة .. تدل سحنته وقسمات وجهه على انه اجنبي .
سأله الزائر في غير تردد ــ هل كل شيء على ما يرام ؟
فاجابه الرجل دون ان يعي :
ــ نعم ..
ثم فطن الرجل على الاثر الى انه سمع صوتا غير مألوف .. وان هذا الصوت يختلف كثيرا عن صوت هنريخ دوسل .
فطن الى ذلك ولكن بعد انقضاء ثلاث او اربع ثوان .. فرفع راسه .. ونظر الى المتكلم .
بيد انه فعل ذلك بعد فوات الوقت .. وبعد ان اصبح منه الزائر على مسافة خطوة واحدة ..

قال الزائر وهو يلوح بخنجر في يده :

— هذا حسن .. اغمض عينيك .. وارجع القهقرى الى الغرفة التي خرجت منها .. فينتهي كل شيء على ما يرام .

قال ذلك وسدد الخنجر الى صدر الرجل .. وقرن هذه الحركة بنظرة تهديد كان لها اثرها السريع .. فقد انكمش الرجل . وتراجع بالغريزة ..

وتبعه الزائر عن كثب .. حتى اذا دخل الغرفة في اثره .. اغلق الباب .. واطبق على عنق الرجل فجأة .

وما هو الا لحظة حتى كان الزائر ينهض واقفا بعد ان ترك الرجل في غيبوبة هادئة .. لا يزعجها سوى الم شديد في الفك الاسفل ..

واجال الزائر البصر حوله .. فراى المريض ملقى على الفراش وهو موثق اليدين والقدمين مكموم الفم .

كان المريض رجلا متقدما في السن .. قد تدلت لحيته البيضاء فوق صدره .. واختفت عيناه وراء عوينات سوداء كبيرة . وتوارت يداه في قفاز من الجلد الاسود ..

انقض عليه الزائر وحمله على كتفه كما يحمل طفلا .. وشرع يهبط به السلم .

ولكنه ما كاد يصل الى الطابق الاول .. حتى سمع ضجة منبعثة من اسفل .. فاشرأب بعنقه من فوق حاجز السلم . وراى رجلا يفتح باب الغرفة التي وضع بها هوفيغ دوسل .

غير ان ذلك لم يثنه عن مواصلة الفرار .. فاستمر يهبط السلم بهدوء .. ولما وضع قدمه على آخر درجات السلم .. راى مسدسين مصوبين اليه .. احدهما في يد الرجل الذي فتح الباب . والثاني في يد هوفيغ دوسل .

قال الزائر ببساطة :

— لقد انتصرت على يا دوسل .

ومدد الشيخ المريض على الارض .. ثم استطرد قائلا :

— نعم .. انك انتصرت على في آخر لحظة .. فدعنا نتفاهم .. ولكن اسمح لي اولا بان ادخن لفافة تبغ ..

واخرج علبة التبغ من جيبه .. وتناول منها لفافة (غير بريئة) .. واشعلها واستطرد :

— من الافضل ان نتفاهم يا عزيزي دوسل . فحدثني .. ماذا في نيتك ان تصنع بي ؟

هل في نيتك ان تدفع بي الى رجال البوليس ؟ اذا فعلت ذلك فتعين عليك ان تدلي بكثير من الايضاحات التي ربما يهمك ان تكتمها عن رجال البوليس .

لقد سمعني الشرطي في الخارج حين قلت انني طبيب .. وانني جئت تلبية لدعوتك التليفونية .. وسوف يسألك الشرطي حتما لماذا سكت على دعواي ، ولم تكذبني في الحال . يضاف الى ذلك هذا المريض الكهل ..

واشار باصبعه الى الشيخ الممدد على الارض .. وكان الشيخ يهز راسه ويحاول ان يقول شيئا .. ولكنه لا يستطيع بسبب الكمامة التي تحبس انفاسه ..

واستطرد الزائر :

— ان اسوأ النوبات العصبية او الجنونية لا تستلزم شد وثاق المريض وتكميمه بهذه الطريقة .

فقال دوسل ببطء :

— كلا يا صديقي .. انني لن ادفع بك الى رجال البوليس .

فقال الزائر وهو يرسل من فمه سحابة كثيفة من الدخان :

— ولكنك لا تستطيع الاحتفاظ بي هنا طويلا .. فقد جرى لي مع الشرطي حديث طويل قبل ان ادخل منزلك .. فقلت له انني لا انوي البقاء هنا باختياري اكثر من نصف ساعة .. واكبر ظني انه — بعد ما راى وسمع — لا يزال

قابعا امام المنزل ليرقب ما يحدث .

فتحول دوسل الى خادمه وقال :

— اذهب الى احدى نوافذ الطابق الأول يا لويجى .. وانظر اذا كان الشرطى لا يزال امام الباب ..

فأطاع الخادم .. وقال الزائر وهو يدخن فى هدوء :

— ان الموقف دقيق الى حد ما بالنسبة اليك يا عزيزى هتريخ .

انني معروف جيدا من رجال البوليس .. واذا ذكرت لك اسمى .. فقد تعرفني بدورك ..

انا ادعى سيمون تمبلار ، وبعضهم يدعونى القديس ..

وهنا رفع دوسل رأسه فجأة .. ونظر الى محدثه كأنه لا يصدق اذنيه ..

واستطرد القديس وهو يبتسم :

— لقد كنت واثقا من انك تعرفنى .. ومهما يكن من امر فانك تستطيع ان تعرف المزيد عنى من صديقك الأرشيدوق رودلف والدكتور رايت ماريوس ..

فازدادت دهشة دوسل . ونظر الى القديس بمزيج من الذعر والقلق .

وعاد الخادم فى هذه اللحظة .. وانبأ سيده بأن الشرطى لا يزال امام المنزل .. وانه يتحدث الى شاب من باعة الصحف .

وهنا عض دوسل على شفته وقال القديس :

— يخيل الى انك شديد الانزعاج يا عزيزى دوسل . كان يجب ان تتلقى درسا فى رباطة الجأش من صديقك أو سيدك الأرشيدوق رودلف فانه رجل لا تزعزعه العواصف .

قال القديس ذلك ببطء .. وبصوت خافت . وهو لا يرفع عينيه عن لفافة التبغ التى بين اصابعه .

ثم استطرد فجأة . وهو يبتسم :

— دعنى اعرض عليك احدى الالعاب السحرية .. انظر ..

والقى ببقية لفافة التبغ على الأرض واغمض عينيه

اما دوسل . وخادمه .. فانهما حملقا الى لفافة التبغ المشتعلة امامهما .

وفجأة سمعا صوتا عجيبا كفحيح الافعى .. ثم انفجرت لفافة التبغ بصوت خافت .. وانبعث منها وهج حاد ساطع بهر ابصارهما واشعرهما كأن شعاعا وهاجا طعنهما قد نفذ من عيونهما الى عقليهما .

ولم يستمر هذا الوهج اكثر من اربع او خمس ثوان ولكن هذه الفترة القصيرة كان فيها الكفاية .

ولما انطفأ الوهج .. كان المكان قد امتلأ بدخان ابيض كثيف وقد انتهز القديس الفرصة منذ بدايتها . فحمل الشيخ المريض . ووثب به الى الباب .

وسمع الرجلان صوته الهازىء وهو يقول :

— هذا نوع من لفافات التبغ يستعمل بنجاح لاضحاك المدعوين فى الحفلات . فلا تنس ان تدعونى الى اول حفلة تضحك فيها مدعويك بهذه اللفافات ايها العزيز دوسل .

وتخبط الرجلان فى اثره على غير هدى . وكان ذلك الوهج كان قد اعماهما مؤقتا .

وما كاد القديس يفتح الباب .. حتى مرت بالقرب من اذنه رصاصة انطلقت من مسدس صامت .

وتبعته سحب الدخان الى الخارج فصاح :

— النار .. النار .. النجدة .

وما ان وضع قدمه على ارض الشارع حتى اسرع اليه الشرطى فصاح به :

— انقذ الاخرين يدق السماء .. ان النار تلتهم المنزل .. وقد انقذت هذا المريض ولكن يوجد سواه بالمنزل .

وما هي الا لحظة . حتى اقبلت سيارة انيقة يقودها الشاب الذى كان يتظاهر ببيع الصحف . فوثب اليها القديس . وهو يهتف :

— كل شيء على ما يرام يا روجر . فاسرع قبل ان ينقشع الدخان .

فاطاع روجر كونواى . واطلق العنان للسيارة . فانطلقت تسابق الريح ..

اجتازت السيارة شارع (بارك لين) وانحرفت في شارع (بلبك) وكان القديس ينظر وراءه طول الوقت . ولما لم ير شيئا تشتم منه رائحة المطاردة . اطمأن الى ان الشرطي ودوسل لم يصلا بعد الى تنامم سريع . فاعتدل في مقعده وقال يحدثنا صديقه روجر كونواى :

— لقد نجحت المغامرة يا عزيزى .. ولكنها لم تكن من البساطة كما تتصور .

لقد سار كل شيء في البداية على ما يرام . ثم تعقد الموقف فجاة . ولم يجد (الدكتور) علاجا للحالة غير لفافة التبغ المحشوة بالمغنسيوم .

ثم ... واستطرد :

— كم اود ان اعرف ماذا قال متريخ للشرطي وكيف سيستطيع التخلص منه .

ووضع يده في جيبه ليخرج علبة التبغ . وعندئذ وقع بصره على الشيخ المريض . وكان ملقى في قاع السيارة فقال له :

— معذرة يا جدى العزيز .. نحن مضطرون ان نبقى عليك كما انت مكموم الفم موثق اليدين والقدمين حتى تصل

الى المنزل . ومتى وصلنا الى المنزل حللنا وثاقك واطمأننا وسمعنا قصتك .

فهز الشيخ راسه بحدة . ولكن القديس لم يعبأ به .

* * *

وبعد بضع دقائق . وقفت السيارة في شارع (بركلي ميوز) امام المنزل الذى اتخذه القديس مقرا له وهناك حمل القديس الشيخ . ودخل به المنزل .

اما روجر كونواى فانه ذهب بالسيارة الى حظيرتها .

* * *

وقصد القديس توا الى غرفة الاستقبال . وهناك اجلس الشيخ على احد المقاعد . ثم اسدل الستائر على النوافذ واضاء المصباح الكهربائي وقال محدثا الشيخ :

— والان .. دعنا نسمع قصتك يا جدى العزيز . سيعود روجر بعد لحظة ويقدم اليك قدحا من الشاى الدافيء .. ولكن .. يا الهى ..

ووقف القديس امام الشيخ مذهولا .

ذلك لانه ما كاد يرفع الكمامة عن فم الشيخ حتى انفصلت اللحية البيضاء الطويلة مع الكمامة .

ولم تدم دهشة القديس اكثر من لحظة .. ثم انحنى فوق الشيخ .. ورفع عويناته السوداء وقبعته .

وما كادت القبعة ترتفع حتى انسدلت ثروة من الشعر السنجابى حول وجه اجمل فتاة وقع عليها بصر القديس ..

الفصل الثانى

خصوم قدماء

قال روجر وهو يدخل غرفة الاستقبال . ويهم يخلع ثيابه الرثة :

— ان (فرامل) السيارة قد اختلت يا سيمون ويجب ..

ولم يتم عبارته .. بل وقف ينظر امامه وهو مذهول مشدوه ..

راى القديس جاثيا بجانب فتاة بارعة الجمال .. وقد راح يعمل خنجره فى وثاقها ..

هتف :

— يا الهى يا سيمون .. ما هذا ..

فأجابه القديس وهو يبتسم :

— مفاجأة طريفة تختتم بها حوادث الليلة .. اليس كذلك ؟ !

ثم نهض واقفا بعد ان حل وثاق الفتاة وسألها :

— كيف حالك يا فتاتى ؟

فاعتدلت الفتاة فى جلستها .. ومرت بيدها فوق جبينها وغمغمت :

— سأكون فى خير حال بعد لحظة .. فقط اشعر بصداع .. مؤلم ..

فقال القديس :

— هذا الصداع من تاثير المادة المخدرة التى قدمت اليك .. ثم من تاثير الصدمة التى اصابت راسك فيما بعد ولكنى سأنقذك من هذا الصداع .. اسرع الى المطبخ يا روجر واصنع قدحا من الشاى .

فانطلق روجر .. وقصد القديس الى دولاب صغير فى احد الاركان .. وتناول قرصا احمر اللون من علبة صغيرة هناك .. ووضع القرص فى قدح ماء .. واستمر يرقبه حتى ذاب تماما .. ثم قدم القدح الى الفتاة وهو يقول :

— اشربى محتويات هذا القدح يا فتاتى . فيزول ما بك قبل انقضاء خمس دقائق .

فنظرت اليه الفتاة فى ارتياب .. واطرقت براسها وكأنها خشيت ان يصيبها من محتويات القدح ما هو اكثر من الصداع .

ولكن القديس ابتسم لها ابتسامة مطمئنة .. فتناولت القدح وازدردت محتوياته . ثم غمغمت :

— شكرا لك .

فقال :

— والان .. يحسن بك ان تتمددى على هذا المقعد وان تلزمى الهدوء والسكينة حتى يأتيك صديقى روجر بقدح شاى .

فأطاعت الفتاة وتمددت على المقعد واغمضت عينيها .

واشعل القديس لفافة تبغ .. وراح يدخن .. وينظر اليها .

كانت من اجمل الفتيات اللاتى وقع عليهن بصره ..

راح يتأمل شعرها السنجابى البديع .. وانفها الدقيق .. وشفتيها الحمراوين الرقيقتين .. وجبهتها العريضة التى تدل على الذكاء ونبل الخلق وخيل اليه انه رآها قبلا .

نعم .. انه رآها من قبل .. ولكن أين ؟ ومتى ؟

ولمعت عيناه فجأة .. وتناول احدى المجلات المصورة الموضوعة على مائدة صغيرة فى وسط الغرفة .

كان قد رآها .. أو على الأصح .. رأى صورتها فى تلك

المجلة المصورة .

اخذ يتصفح المجلة .. وما لبثت عيناه ان استقرتا على الصورة .

كان من المستحيل ان يخطىء او ينسى .. فقد لفتت هذه الصورة نظره بعد ظهر اليوم السابق .. لفتت نظره بجمالها .. اما الان .. فانه اقتنع بأن الصورة لم تعبر حق التعبير عن جمال صاحبتها .

* * *

وعاد روجر .. ففتحت الفتاة عينيها .. وابتسمت .

قالت :

— انني الان احسن حالا .

فقال القديس :

— سيزول ما بك تماما متى تناولت هذا الشاى الدافىء .

وقدم اليها قدح الشاى .. فتناولته وقالت :

— شكرا لك .

ثم استطردت على الاثر :

— ولكن حدثني .. كيف اهتديت الى ؟

فأجاب القديس :

— ان القصة طويلة .. ولكن يمكن تلخيصها فى بضع كلمات ..

كان هناك ما يدعونا الى الاهتمام بأمر هنريخ دوسل صاحب المنزل الذى وجدتك فيه .. وكان روجر يراقب دوسل ومنزله .. فرأى حوالى منتصف الليل سيارة تقف بباب المنزل .. ثم رأى شبحا واقعا تحت تأثير المخدر يحمل من السيارة الى ..

وهنا قاطعته الفتاة بأن قالت محدثة روجر :

— وكيف علمت انني كنت تحت تأثير مخدر ؟

فأجاب روجر :

— لقد كانت حركاتهم تدل على الرغبة فى الاسراع . فلما اخرجوك من السيارة ، ارتطم رأسك ببابها .. واحدث ذلك صوتا مسموعا .

فلو كان الشخص الذى ينقلونه مريضا حقا ، بل وكان كذلك مصابا بالشلل ثم اصيب رأسه بمثل هذه الصدمة .. اذن لتأوه .. او افلت من فمه اى صوت يدل على الالم .

اما انت .. فانك لم تتأوهى .. ولم يبدر منك اى صوت .. بل ولم يحاول احدهم ان يعتذر لك .

فضحك القديس وقال :

— كانت خطتهم بارعة حقا .. وهذه العوينات والقفاز والثياب التى اخفوا بها حقيقة شخصيتك تدل على انهم دبروا اختطافك تدبيرا محكما ، وكان من المحتمل ان ينجح تدبيرهم الى ابعد حدود النجاح . لولا ذكاء روجر .

وقد اتصل بى روجر وانبأنى بما حدث .. فرأيت من الضرورى ان اقابل هنريخ دوسل .

ثم راح يسرد تفاصيل ما حدث منذ دخل منزل دوسل .. ولم يتمالك روجر والفتاة من الضحك حين وصف لهما القديس حملة الشرطى وهو يقتحم سحب الدخان لانقاذ اهل المنزل من النيران .

وختم القديس حديثه بقوله :

— بيد ان الشيء الوحيد الذى لم افهم معناه .. هو الصيحة التى سمعتها بعد ان تحطم زجاج النافذة .

انا واثق انها صيحة رجل .. فكيف ...

فقاطعته الفتاة بأن قالت ببساطة :

— انني عضضت يده .

— آه .. اذن فقد عاد اليك رشدك وهم يحاولون فتح

وثاقك .. فقاومت وعضضت يد الرجل .
فاطرقت برأسها علامة الايجاب .. وهتف القديس كأنه لا يصدق أذنيه :
ـ أنت .. أنت تعضين ..
فابتسمت وأجابت :
ـ هل تعرف من أنا ؟
ـ نعم .. ولذا لا أستطيع أن أصدق أنك تعرفين العض والتقسم بهذه البراعة .
ثم تناول المجلة واستطرد قائلا :
ـ انني عرفتك من صورتك . خذ هذه المجلة يا روجر وحاول أن تعرف فيها صورة الآنسة .
وقدم المجلة الى روجر ..
أما الفتاة فانها وضعت قدح الشاي . وقالت :
ـ انا نزلنا في ضيافة السفارة .. وقد أقام السفير وزوجته الليلة حفلة ساهرة دعيت اليها بطبيعة الحال .. ولكن السهرة كانت مملة .. كان الحر شديدا في قاعة الرقص . فلما انتصفت الساعة الثانية عشرة .. تسللت الى غرفتي في دار السفارة .. وكان أول شيء وقع عليه بصري أمام طاولة الزينة في غرفتي .. هو علبة شوكولاتة بديعة .
ثم ابتسمت وأردفت :
ـ ولما كانت الشوكولاتة هي أحب الأشياء الى .. فانني لم أفكر طويلا فيما جاء بتلك العلبة الى غرفتي .. وخطر لي أن زوجة السفير ـ وهي تعلم من ولعي بالشوكولاتة ـ لابد قد جاءتني بها .. فقضمت قطعة منها .. ولاحظت في الحال أنها مرة المذاق .
ولا أذكر ما حدث لي بعد ذلك .. لانني عندما أفقت ..

وجدت نفسي في ذلك المنزل .. ورأيت ثلاثة رجال يحاولون شد وثاقي .
وأنت تعلم الباقي طبعا .
فابتسم القديس ونظر الى روجر كونواي .. فوضع روجر المجلة .. وراح يحملق في وجه الفتاة .
وضحكت الفتاة في جذل وقالت :
ـ اذا كنت ابنة مليونير فذلك لا يمنعني من أن أجد الشاي الذي صنعته شهيا .
فقدم اليها القديس علبة التبغ . وقال وهو يشير بأصبعه الى بعض اللفافات :
ـ هل لك في لفافة تبغ من النوع الذي لا ينفجر ؟
ثم أشعل بدوره لفافة وقال :
ـ هل فكرت فيمن نصب لك هذا الفخ ؟
ـ انني لم أجد متسعا من الوقت للتفكير .
ـ فكري الآن .. من ذا الذي كان في استطاعته أن يختطفك هكذا من دار السفارة ؟
فهزت رأسها وقالت :
ـ انني لا أكاد أصدق أن أحدا كان في امكانه أن ..
فقاطعها القديس :
ـ في استطاعتي أن أذكر لك اسم الشخص الذي كان في امكانه أن يختطفك . اسم الشخص الذي اختطفك فعلا .
فسألته في قلق وفضول :
ـ من هو ؟
ـ انه شخص من المحتمل أن تكوني قد رقصت معه أثناء السهرة .
ـ انني رقصت مع كثيرين .
ـ ولكن الشخص الذي أعنيه لابد وأن يكون أحد الذين

قدمتهم اليك زوجة السفير .
ففكرت الفتاة طويلا . ثم هزت راسها .
قال القديس :
— فكرى جيدا .. انه شاب متوسط القامة . قصير الشاربين أنيق جدا .
ورأى عينيها تلمعان فجأة وادرك انها فهمت ، فغمغم :
— انه الأرشيدوق رودلف . ولى عهد بافاريا .
— ولكن .. هذا مستحيل .
— انه يبدو مستحيلا . ولكنه الحقيقة . وعندى الادلة والبراهين .
قال ذلك واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا وهو مقطب الجبين . والفتاة تنظر اليه في حيرة ودهشة .
واخيرا جلس القديس على حافة الطاولة وقال :
— انك سمعتنى عندما قلت لدوسل اننى .. اننى سيمون تمبلار الملقب بالقديس .. اليس كذلك ؟
— نعم .
— الم تسمعى هذا الاسم قبلا ؟
— اننى قرات عنه في الصحف .
— ومع ذلك فاننى لم ار على وجهك شيئا من دلائل الفزع منذ جئت الى هذا المنزل ..
— انك لست مجرما .
— ولكنى ارتكبت جرائم كثيرة ..
— كلها جرائم حقة .. ضد اناس يستحقونها .
— وقد قتلنا رجلا ..
فصمتت الفتاة . واستطرد القديس :
— حدث منذ ثلاثة شهور اننا .. او بالاحرى ، ان احد اصدقائى قتل رجلا ..

كانت جريمة عادلة .. بل انها كانت الجريمة الوحيدة التى ارتضاها ضميرى .. منذ بدات حياتى الحافلة بالمغامرات والمخاطرات ..
اما الرجل الذى ذهب ضحية هذه الجريمة فهو العالم الكيميائى الأستاذ غارجان ..
اخترع هذا الرجل سلاحا من اهول اسلحة الحروب وقد رايت مع اثنين من اصدقائى — احدهما روجر هذا — ان العالم في غنى عن هذا السلاح .. وان النوع البشرى يكون اكثر طمأنينة على مصيره ومستقبله اذا ابيد هذا الاختراع .
وقد بذلنا جهود الجبابرة . وخاطرنا بكل شيء لاقناع الأستاذ غارجان باهمال اختراعه .. ولكن الرجل كان مجنونا .. فرفض أن يصغى .. وصار لزاما علينا أن نقتله لانقاذ العالم من شره .. وشر اختراعه الجهنمى .. ولم يتردد زميلنا الثالث — واسمه نورمان كينت — في قتله برصاصة من مسدسه ..
وهنا كف القديس عن الكلام .. وارتسمت على وجهه علامات الحزن حين تذكر صديقه النبيل نورمان كينت ..
واردف بعد لحظة :
— على أن قوما آخرين ينتمون الى دولة اجنبية .. علموا بامر هذا الاختراع . وسعوا للاستيلاء عليه .. او على مخترعه ..
وقد نشرت الصحف في ذلك الحين انباء بعض المحاولات التى قام بها اولئك الجواسيس لاختطاف الأستاذ غارجان .. أو سرقة اختراعه .. ولكنها لم تكتب في الموضوع باسهاب .. نظرا لان الامر يتصل ببعض ذوى الشخصيات البارزة . ثم لان جميع المؤامرات التى دبرها اولئك القوم تكللت بالفشل .. ولذلك رؤى كتمانها .. تجنبا المشاكل الدولية .

على ان هناك بعض حقائق كان ولا يزال يجهلها أشد المتصلين بهذه المؤامرة .. وفي مقدمتهم الارشيدوق رودلف نفســه .

فقد كان هذا الارشيدوق يعتقد ان ساعده الايمن الدكتور (رايت ماريوس) انما يعمل في خدمة وطنه .. ويسعى للحصول على ذلك الاختراع لكي يضع في ايدي بلاده سلاحا يضمن لها الانتصار في الحرب المقبلة .

بيد ان الحقيقة التي يجهلها الارشيدوق هي ان الاستيلاء على اختراع الاستاذ مارجان — وهذا الاختراع هو عبارة عن اشعة قاتلة تبيد كل كائن حي يقف في طريقها — اقول ان الحقيقة التي يجهلها الارشيدوق هي ان الاستيلاء على هذا الاختراع كان الغرض الاول منه احداث حرب اوروبية لمصلحة جماعة من المموّلين الذين يقرضون الحكومات المفلسة .. ويتجرون بالاسلحة .. ويغذون الفتن والثورات وفي طليعة هؤلاء المموّلين الدكتور رايت ماريوس نفسه .. المشهور بالمليونير الغامض .. او المليونير الذي لا وطن له .. فهل سمعت عن هذا الرجل ؟

فاطرقت الفتاة براسها . واجابت :

— ومن ذا الذي لم يسمع باسمه ؟

فقال القديس :

— هذا الرجل هو من اكبر المتآمرين على السلام العالمي . ومن اعظم مثيري الفتن والثورات في العصر الحديث .. وقد كانت مؤامراته للحصول على اختراع الاستاذ مارجان هي اعظم محاولاته على الاطلاق وقد سخر فيها الارشيدوق رودلف .. واتخذه سلما للوصول الى غرضه .

وقد كان احد هذين الرجلين .. الدكتور رايت ماريوس .

او الارشيدوق رودلف .. هو الذي قتل صديقي نورمان كينت .

وصمت القديس .. وارتسمت على وجهه مرة اخرى علامات الحزن واحترمت الفتاة وروجر حزنه فلم يعكرا عليه صمته .

قال القديس اخيرا :

— اننا تركنا نورمان كينت مع الارشيدوق وماريوس في منزل امتلكه في (ميدنهيد) .. وقد مهد لنا نورمان سبيل الافلات من ايدي رجال الارشيدوق .. وكنت اظن انه وفق الى وسيلة ينقذ بها نفسه .. ولم اعلم انه ضحى بنفسه في سبيلنا الا بعد فوات الوقت .. فلما عدت الى منزلي في (ميدنهيد) وجدته جثة هامدة .

وكان بقائي في انجلترا بعد تلك الحوادث مستحيلا ... فسافرت الى فرنسا .. وعبثا حاولت ان انسى نبل التضحية التي بذلها نورمان كينت في سبيلنا .. وعبثا حاولت ان انسى ان لي عند الارشيدوق وماريوس ثارا ..

واخيرا قررت ان اثار لصديقي .. وان اعمل على تصفية الحساب بيني وبين هذين الرجلين .. فعدت الى انجلترا رغم الاخطار التي تهدد سلامتي .. وحريتي واخذت مع زميلي روجر في البحث عن الارشيدوق وماريوس .. وكان الحظ حليفنا .. اذ وفقنا في مدة وجيزة الى اكثر المعلومات التي تهمنا .. فعلمنا ان الدكتور ماريوس اصيب برصاصة من مسدس نورمان كينت في ساعة النضال الاخيرة .. ولكنه عوفي من اصابته بعد ان قضى شهرين طريح الفراش .

ثم علمنا ان الارشيدوق لا يزال في لندن .. وانه يقيم في فندق (ريتز) .

وحدث امس بينما كنا نرقب فندق (ريتز) اننا راينا هنريخ موسل يتحدث طويلا مع الارشيدوق . فقررنا ان نميط اللثام

عن سر العلاقة بين هذين الرجلين .. عسى ان نعرف شيئا جديدا عن اعمال الارشيدوق ونواياه .. وهكذا بدانا فى مراقبة دوسل .

بيد ان كل شيء اكتشفته منذ عودتى الى انجلترا لا يكاد يذكر فى شيء الى جانب الاكتشاف الذى وقعت عليه الليلة .

وصمت القسيس .. فنظر اليه روجر والفتاة فى دهشة .. ولم يفهما غرضه ..

قال القسيس :

— لقد اكتشفت الليلة ان مهمة فورمان كينث لم تنته . وانه قتل فارجان .. ثم ضحى بنفسه على غير طائل .. لان ماريوس — والارشيدوق من ورائه — لا يزال يصول ويجول فى الميدان ..

نعم .. ان هذا الرجل الجهنمى لا يزال يعمل على اشعال نيران حرب عالمية جديدة .. ولذلك يجب ان يموت .

فقالت الفتاة :

— انك تتكلم بلهجة الواثق من نفسه .. ولكننى لا اجد صلة بين اختطافى .. واشعال نار الحرب العالمية .

— الا ترين الصلة ؟ حسنا .. اصغى الى .. اننى سردت عليك الان قصة اختراع الاستاذ فارجان ، بيد ان هذا الاختراع لم يكن المحور الحقيقى لماساة الحرب المنتظرة .. والواقع ان استيلاء احد الاشخاص او احدى الدول على سر اختراع جهنمى كاختراع الاستاذ فارجان ليس معناه ان تقوم قيامة الدول .. وتعلن الحرب .

ان الحرب هى النتيجة النهائية لسلسلة من الحوادث التى ترمى الى بذر سوء الظن وسوء التفاهم بين دولة واخرى .. وقبل ان يدبر ماريوس مؤامراته للاستيلاء على اختراع الاستاذ فارجان . عمد بدهائه الى احلال سوء الظن

محل الثقة بين انجلترا وبعض الدول الاوروبية . فلم يكن ينقضى يوم دون ان تقرا فى الصحف عن حادث اعتقال جاسوس المانى او فرنسى وهو يحاول تصوير بعض الاستحكامات الانجليزية . او دخول احد المصانع البريطانية التى تصنع الاسلحة والذخيرة للجيش البريطانى .

كذلك لم يكن ينقضى يوم دون ان نقرا فى الصحف عن جاسوس بريطانى القى عليه القبض وهو يحاول احراق احد المطارات .. او نسف احدى المدرعات .

وكانت الحكومات فى جميع هذه الحوادث تبرا بحق من هؤلاء الجواسيس واعمالهم .

والواقع .. ان اكثر هذه الاعمال والمحاولات الجاسوسية .. ليست من تدبير الحكومات . ولكنها من تدبير اولئك الذين يريدون الصيد فى الماء العكر بايغار صدور الشعوب بعضها على بعض . وغرس بذور النفور وسوء الظن بين الدول والحكومات تمهيدا لاشعال نيران الحرب بينها .

وفى الحق .. انه ليس ايسر على من يملك المال من ان يدعو اليه احد صعاليك الانجليز مثلا .. ويقول له افعل كذا .. كذا .. فيقبض عليك وتتهم بالجاسوسية .. ويحكم عليك بالسجن ثلاثة او خمسة اعوام ولك فى مقابل ذلك عشرة الاف من الجنيهات مثلا .

ان هناك مئات بل الافا من العاطلين يقبلون مثل هذه المهمة التى لا تدل فى ظاهرها على شيء .. ولكنها متى تكررت .. حركت الاحقاد الدفينة . واثارت الظنون السيئة وذهبت بالثقة بين الشعوب والحكومات .

لقد حسبت عندما قتل فارجان .. وابيد اختراعه ان جمعية ماريوس واضرابه قد فرغت من الحيل والمؤامرات وان فترة من الوقت ستنقضى قبل ان نسمع او نقرا عن المزيد من

أعمال التجسس المزعومة . غير ان تجاربي الشخصية في باريس والانباء التي قرأتها في الصحف . قد دلتني على ان جعبة ماريوس واضرابه لم تفرغ . وان المؤامرات لا تزال تدبر وتحاك بمهارة وصبر انتظارا للفرصة الملائمة التي يستطيع فيها التعسيون توجيه الطعنة القاتلة الى صدر السلام .

هل تذكرين يا آنسة حادث اعتقال الشاب الالماني الذى ضبط وهو يحاول احراق الطائرة البريطانية الجديدة (١٠٣ ر) ؟ .

ـ نعم اذكر هذا الحادث .

ـ انه لا يزال عالقا بالأذهان . لانه وقع منذ شهر واحد . وقد اوشك الشاب ان ينجح في مهمته . لولا انني علمت بالمؤامرة في الوقت المناسب واخطرت صديقي المفتش تيل ، فقبض على الجاسوس المزعوم متلبسا بجريمته .

فهل تعرفين ما هي الدولة التي كان هذا الشاب يعمل لحسابها ؟

انه لم يعمل لحساب احدى الدول .. بل عمل لحساب الدكتور رايت ماريوس ..

ثم هل تذكرين حكاية ذلك الرجل الانجليزى الذى قبض عليه رجال البوليس في فرنسا وهو يحاول التقاط صورة فوتوغرافية لاحدى القواعد البحرية الفرنسية ؟

فاجابت الفتاة :

ـ لقد كتبت الصحف باسهاب عن قضيته ..

ـ كان هذا الرجل ايضا من اتباع ماريوس .. وقد علمت بهذه الحقيقة لانني كنت كامنا في احدى الغرف بفندق (ادوار السابع) بباريس وسمعت تفاصيل المساومة التي جرت بين هذين الجاسوسين .. ورجل آخر ارسله ماريوس

الى باريس للمفاوضة ودفع الثمن .

ان هناك عشرات من مواثيق السلام ونزع السلاح ولكن ما قيمة المواثيق والمعاهدات اذا ضاعت الثقة بين الشعوب والحكومات ؟ !

ان الناس في الوقت الحاضر لا يريدون حربا ..

واولئك الذين شهدوا الحرب الماضية وفظاعتها يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون حرب جديدة .. ولكن ماذا يستطيع الرجل ان يفعل . متى راى رجلا آخر يأبى الا ان يسرق متاعه . ويحرق بيته ويكيل السباب لزوجته .

الا ينتهي به الامر حتما ــ مهما بلغ من صبره وسعة صدره ــ ان ينقض على غريمه .. ويقابل التحدي بمثله ؟

وصمت القديس لحظة ثم سأل :

ـ هل فهمت الان يا آنسة ؟

فاجابت :

ـ انني فهمت غرضك وفكرتك .. ولكني لم افهم بعد كيف يحاول صديقك ماريوس ان يجعل من اختطافي وسيلة لاثارة اي نوع من الحروب .

ـ لقد افهمتك يا آنسة

فنظرت اليه نظرة جوفاء وقالت :

ـ متى ؟

ـ الان .. عندما حدثتك عن المموّلين وأصحاب رؤوس الاموال مع علمي بأنك ابنة احد اصحاب الملايين .

الست سونيا ديلمار .. ابنة هنرى ديلمار ملك الفولاذ ؟

الست سونيا ديلمار .. خطيبة السير جون ليسنج ... الرجل الذى يسيطر على منابع البترول في البلقان .. والذى يلقب بدكتاتور شرق اوروبا ؟

وهل لم يحاول السير جون ليسنج طيلة الاعوام الأخيرة

ان يهدم الشركات التى تستثمر آبار البترول فى روسيا ؟

والان .. لنفرض انك اختطفت .. او اختفيت قبل زواجك ..

ثم ظهر انك نقلت الى روسيا فماذا يكون ؟

الامر واضح غاية الوضوح .. ان من الصعب اغراء الدول الكبرى وحملها على اشعال نار الحرب .. ولكن ليس أيسر من وضع النار فى بلاد كبلاد البلقان التى اصطلح الناس على تشبيهها ببرميل البارود .

والدكتور ماريوس رجل واسع الحيلة .. ولابد انه توفر على دراسة طباع السير جون ليسنج .. وميوله ونفسيته ..

والسير جون ليسنج مشهور بانه ضيق الصدر سريع الغضب .. اذا اعترضه معترض ولو حول مائدة الميسر .. حنق عليه .. وعمل على تدميره والقضاء عليه .

فرجل هذا خلقه وهذه طباعه .. لا يمكن ان يقف مكتوف الساعدين متى توهم ان خصومه الذين ينافسونه فى تجارة البترول قد اختطفوا خطيبته ..

وليس ايسر على ماريوس فى هذه الحالة من ان يهمس فى اذن السير جون ليسنج كلمة تجعله يشعل النار فى بلاد البلقان ..

وحرب فى شرق اوروبا لابد ان تجر وراءها حربا اوروبية عامة تشمل القارة كلها من اقصاها الى اقصاها .. فهل فهمت الان .

فصعدته الفتاة ببصرها .. ثم هزت رأسها وقالت :

— هذه قصة اشبه بما نقرأه فى الروايات الخيالية .. ومن عجب انك تتكلم بلهجة المؤمن بصحة رأيه .

على انك ...

ورفعت يدها الى رأسها .. ولم تستطع اتمام عبارتها .

فقال التعيس وهو يبتسم :

— مسكينة انت يا سونيا .. لقد اتعبتك حوادث الليلة ومفاجآتها . انك فى اشد الحاجة الى الراحة والنوم ومن الافضل ان ترجىء حديثنا الى الصباح ريثما يعود اليك نشاطك وقوتك .

سأذهب بك الان الى غرفة نومك . وسيكون اول عمل لروجر فى الصباح ان يستعير لك بعض الثياب اللائقة من زوجة احد اصدقائه .

فنهضت واقفة . وقالت وهى تنظر اليه بحدة :

— هل تعنى ان .. ان فى نيتك استبقائى هنا ؟

فاطرق التعيس برأسه . وقال :

— ستبقين هنا الليلة على الأقل .

— والقوم فى السفارة .. سوف ..

— سوف يستولى عليهم القلق لاختفائك . أليس كذلك ؟

فقالت وهى تتراجع :

— اذن فانك لم تنقذنى من ذلك المنزل الا لكى ...

— الا لكى أسجنك فى منزلى ؟ كلا .. يا آنسة ليست هذه نيتى .

قال ذلك ووضع يده على كتفها بلطف واستطرد وعلى شفتيه ابتسامة هادئة مطمئنة .

— اننى وصديقى روجر بسبيل مغامرة من اخطر المغامرات التى مرت بنا .. وقد حدثتك الليلة بطرف من تفاصيلها .. وقد يأتى يوم أستطيع فيه ان احدثك بالتفاصيل كلها .. بيد ان القليل الذى سردته عليك .. يكفى فى ذاته لاقناعك باننا لا نسعى وراء غنيمة من مال او متاع ..

اننى لم اتمم خطتى بعد .. ولا اعلم كيف سيبدأ النضال بينى وبين الدكتور ماريوس .. ولكنى لا ارى مانعا فى الوقت

الحاضر من ان اضع يدى على السلاح الذى يحـارب به ماريوس .. وهذا السلاح هو انت ..

ومن المحتمل ان يهديني التفكير الى خطة صالحة قبل ان تبزغ شمس الغد .. ولكن من الان .. الى ان اضع خطتي .. واعرف دورك فيها .. ينبغي ان احتفظ بك هنا ..

— هل تريد ان اكون سجينتك فى هذا المنزل ؟

— كلا .. فذلك آخر ما افكر فيه .. وكل ما اطالبك بـه هو ان تعديني بالا تبرحي هذا المنزل خـلال الاثنتى عشرة ساعة القادمة .

فصمتت الفتاة واطرقت براسها .

وراح القديس ينظر اليها بامعان .. كانما يريد ان يتغلغل فى اعماق نفسها .. او ان يقرا ما يجول وراء جبهتها المرتفعة الناصـعة البياض ..

لقد أراد بحادثيه فى النصف الساعة الاخيرة ان يقنعها . فلما لاحظ الان ترددها ، لم يتمالك من ان يسال نفسـه ، ترى ما هى العقوبة التى يفرضها القانون الانجليزى على الشخص الذى يسجن فى منزله ابنة احد اصحاب الملايين ؟

على ان صمت الفتاة لم يدم طويلا ، وكذلك لم يدم ترددها حين رفعت عينيها ورات الابتسامة الهادئة التى تضىء وجـه القديس .

قالت :

— انني اعدك .

فأجاب :

— شـكرا لك .

* * *

وذهب بها القديس الى غرفته الخاصة .. وهناك قال لهـا :

— ستجدين فى هذا الدولاب مجموعة لا بأس بهـا من (البيجامات) فاختارى منها ما يروقك .

وابتسم واردف :

— واذا وجدت ان بيجاما واحدة لا تتسع لك . فارتدى بيجامتين .

ثم قال وهو يمس كتفها بلطف :

— سأحاول فى احد الايام ان اوضح لك معنى سـلوكى هـذا .. وان اعتذر لك .

فابتسمت واجابت :

— وانا من ناحيتى سأحاول فى احد الايام ان اغفر لك .

— طاب مساؤك يا سونيا .

وقبل يدها بسرعة .. وخرج من الغرفة .

وعاد القديس الى غرفة الاستقبال . فوجد روجر يحتسى قدحا من الجعة ..

قال له :

— اظن ان الوقت قد حان لنلتمس شيئا من الراحة ... اننا نستحق النوم عن جدارة .

فقال روجر متذمرا :

— وما حاجتك الى النوم . وقد فزت بالغنيمة كلها .

فنظر اليه القديس مدهوشا وسأله :

— ماذا تعنى ؟

— ماذا اعنى ؟ اعنى انك احتكرت لنفسك حديث الفتـاة ومساهتها الساحرة .. فلم تتحدث الى سوى مرة واحدة .

فقهقه القديس ضاحكا وقال :

— رفه عنك يا صاح .. اننا على ابواب مغامرة اعذب من بسمات النسـاء .

— لو اننا عدنا بالفتاة الى دار المفوضـية الامريكية الذى

لتالقى من شكر ابيها وكرمه بضعة الاف من الجنيهات .

ـ اما الان فسيكون نصيبك اما السجن خمسة عشر عاما لاختطافك ابنة احد اصحاب الملايين .. أو رصاصـــه من مسدس الدكتور ماريوس .

لا شك ان الارشيدوق وماريوس قد علما الان من دوبسل باننا عدنا الى الميـــدان .

فنظر اليه روجر طويلا ثم قال :

ـ هل انت واثق من صحة النظرية التى ادليت بهـــا الى سونيا ؟

فاجاب القديس فى صراحة :

ـ الواقع انها نظرية خطرت لى عرضا . ولا اعلـم على وجه التحقيق نصيبها من الصحة .. ولا شك ان هنـاك نظريات اخرى لتعليل اختطافها ولكنى وجـدت ان هـذه النظرية هى الاقرب الى العقل والمنطــق .. ولست اعـلم لمـاذا لا تكون هى النظرية الصحيحه .

ـ ان ما يحيرنى .. هو لمـاذا اختطفت بالفتاة .. ولاى غرض تريد استخدامها ؟

فابتسم القديس واجاب :

ـ وذلك ما يحيرنى ايضا يا روجر .. بيد اننى اشـعر شعورا مبهما بان هذه الفتاة هى اقوى سلاح فى المعركة .. واننا سنفيد منها كثيرا متى بدا النضال .

واطرق براسه لحظة ثم نهض وهو يقول :

ـ هلم بنا الى الفراش يا روجر . فالفراش هو المـكان الوحيد الذى استطيع فيه حل المعضلات .

الفصـل الثالث

وقفت السيارة بالباب . وهبط منها رجل متقدم فى السـن

يحمل باحدى يديه حزمة كبيرة .. ويتوكأ بيده الاخرى على عصـــا .

ودخل هذا الشيخ بيت القديس واغلق الباب وراءه . ثم شرع يرقى السلم بخفة الشباب .

وقصد لتوه الى غرفة الطعام . حيث كان روجر وسونيا يتناولان طعام الافطار .. فالقى بالحزمة والعصا فى احد الاركان وقذف بقبعته فى اثرهما وهتف :

ـ ما اجمل هذا الصباح .. لولا مضايقات رجال البوليس السرى .

ثم التفت الى سونيا واستطرد وهو ينزع لحيته وشاربيه :

ـ لقد كانت مشكلة ثيابك فى طليعة المشاكل التى وفقت الى حلها . فانه من غير المـالوف أن تتنقل ابنـة ملك الفولاذ فى شوارع لندن مرتدية (بيجامه) سيمون تمبلار .

واشار الى الحزمة التى جاء بها واردف :

ـ لقد جئتك بطائفة من الثياب تصلح لابنة احد اللوردات .. هل التهمت الطعام كله يا روجر ؟

فاجابه روجر :

ـ اننى احتفظت لك ببيضـــة .

ـ بيضة واحـــدة ؟؟ .. يا الهى اننى اكاد ان امـوت جوعا يا رجل .

ـ اذا اردت بيضة اخرى فعليك ان تبيضها .. لم يكن بالمنزل ســوى اربع بيضات . وقد اكلت الضـيفة العزيزة اثنين منهـا .

ـ هـذا نبأ سار .. لانه يدل على ان الضـيفة العزيزة تستمتع بصـحة جيدة .

ثم اقبل على الطعام يلتهمه بشراهة .

سالته الفتاة :

ــ لماذا تنكرت في زي شيخ ؟ ! هل تعتقد ان رجال البوليس يتعقبونك ؟

فأجاب القديس وهو يبتسم :

ــ انهم يتعقبونني منذ عشر سنوات .. ولكنهم بدأوا يضيقون على الخناق في المدة الاخيرة .

فقال روجر :

ــ وهل تعتقد ان في استطاعتك اختطاف بنات ملوك الفولاذ دون ان يحرك رجال البوليس ساكنا للاقتصاص منك ؟

ــ لا اظن ان اختطاف الآنسة سونيا هو السبب في انتشار رجال البوليس السري في الاماكن التي تعودت غشيانها .. ولو كان هتريغ دوسل قد حدثهم عن اختطاف ابنة ملك الفولاذ من منزله . اذن لتعين عليه كذلك ان يذكر لهم كيف وصلت سونيا الى بيته . وذلك ما لا يستطيع ان يفعله دون ان يفضح نفسه .

تبا للظروف السيئة .. لو لم يكن هذا اليوم هو يوم الاحد .. اذن لطلعت علينا الصحف بأنباء قد تهمنا . اما والصحف لا تصدر اليوم فقد اصبح لزاما ان انطلق لتسقط الانباء بنفسي .

فهتف روجر :

ــ تفعل ماذا ؟ !

ــ انطلق لاستقاء الاخبار بنفسي .. من الأرشيدوق رودلف .. في فندق (ريتز) .

ثم اعتدل في مقعده ، ونظر في ساعته وقال محدثا سونيا :

ــ ستصبحين في حل من وعدك بعد انقضاء اربع ساعات .. ولكني احلك الآن من هذا الوعد .

* * *

فحدجته الفتاة بعينيها طويلا ..

كان في استطاعتها ان تشكره .. وتذهب في سبيلها .

وكان في استطاعتها ان تذهب في سبيلها دون ان تنطق بكلمة شكر .

ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك .. بل سألته ببساطة دون ان تتحرك من مكانها :

ــ لماذا ؟ !

فأجابها بهدوء :

ــ لقد تفكرت في الامر مليا ليلة امس كما وعدتك .

ــ وهل وضعت خطتك ؟ !

ــ نعم ..

ــ من يدري .. فربما كانت تشبه خطتي .

فرفع القديس حاجبيه متسائلا وردد :

ــ تشبه خطتك ؟ !

فابتسمت واجابت :

ــ انني استطيع ان افكر مثلك يا مستر تمبلار .. وقد تفكرت طويلا ليلة امس .. تفكرت في كل ما سمعته منك . وكل ما سمعته عنك .. واقتنعت بما ذكرته لي .. ووجدت انه لا توجد غير وسيلة واحدة للعمل ..

ــ وهي ؟ !

ــ الم تقل انني اقوى سلاح في يد الدكتور ماريوس ؟ انك كنت على صواب حين قلت ذلك .. وقد كان من المهم ان نعرف هذه الحقيقة .. بيد ان هناك حقائق اخرى ما زلنا نجهلها .. واهم هذه الحقائق هي .. كيف ينوي الدكتور ماريوس استخدام هذا السلاح ؟ وماذا لديه من اسلحة اخرى للوصول الى غرضه ؟ !

الم تفكر مثلي في كل ذلك يا مستر تمبلار ؟

— بل فكرت .
— وماذا كانت خطتك ؟
وهنا التقت عيونهما .. وشعر القديس بأن هذه الفتاة الحسناء ربيبة النعمة لا تقل عنه ذكاء وبسالة وبعد نظر .. اجاب :
— كان في نيتي ان اطلب اليك العودة الى .. الى هنريخ دوسل .
فقالت سونيا :
— وذلك ما كان في نيتي ان اقترحه عليك .
وهنا راح روجر ينقل البصر بين تمبلار وسونيا في دهشة وبلد .
شعر بنفسه غريبا بين هذين المخلوقين اللذين توثقت بينهما اواصر التفاهم بهذه السرعة .. واحس كأنه يعيش في جو آخر غير الجو الذي يعيشان فيه . ولعن نفسه على غبائه ، وجمود ذهنه .. وعجزه عن فهم الحقائق كما يفهمانها .
قال القديس محدثا الفتاة :
— وهل فكرت في الاخطار التي ستتعرضين لها ؟
— انني عرضة للاخطار في كل وقت .
— الا تخشين ان افشل فتكون بذلك قد اعدنا الى ماريوس السلاح الذي انتزعناه منه ؟
فقالت بلهجة الثقة والاطمئنان :
— انك لن تفشل .. وبعد . فالعصبة هي عصبة الشجاعة والمغامرة والسلام .. وانت تعلم ذلك .. فليس من حقك اذن ان تتقهقر .
— انت فتاة باسلة .
عندما قلت لك انني احللتك من وعدك .. كانت ارادتك على

ان تعودي الى ذات السمرة الامريكية . وان يعود ماريوس الى خطتك وهكذا استطيع ان اتعقبه واعرف نواياه واغراضه .
اما وقد ادركت من تلقاء نفسك ان السبيل الاوحد لانقاذ العالم من المؤامرة التي اتخذت ماريوس محورا لها . هو ان تضعي نفسك بين يديه . فانني لا يسعني الا ان اهنئك على ذكائك وبسالتك .
قال ذلك ونهض الى جهاز التليفون وتناول السماعة وطلب رقما . ثم هتف :
— الو .. الو .. هل استطيع التحدث الى الدكتور ماريوس ؟ قل له ان سيمون تمبلار يريد التحدث اليه .
وهنا وثب روجر من مقعده وصاح :
— هل جننت يا سيمون ؟ ماذا تفعل .. ؟
ولكن القديس لم يعبأ به . بل راح يتحدث الى الرجل الذي كان يمقته كما لم يمقت انسانا آخر في العالم .
هتف :
— الو .. الو .. أهذا انت يا ماريوس ؟ كيف حالك أيها الحمل الوديع . وكيف حال هنريخ العزيز ؟ لا شك انه ابتهج بعودتي الى انجلترا .. والواقع انه كان في نيتي ان اتصل بك قبل الآن وانبئك شخصيا بعودتي .. لولا كثرة المشاغل كالعادة . الم يحدثك هنريخ عن الدرس الذي تلقاه [illegible] ليلة امس ؟ .. انا واثق انه حدثك . وانه عبر لك عن اعجابه بطريقة علاجي .. كلا .. كلا .. كلا .. ليس [illegible] . كل ما عندك انني اردت ان الاستفسار عن صحتك الغالية . ماذا تقول ؟ .. التاريخ المرضي ؟ انه في خير حال .. ولكنه يشعر بصداع بسيط . وسينتقل الى السفارة غدا لانني لا استطيع ارغامه بالرحيل قبل ان يتم

شفاؤهم . اذكرني عند سيدك الارشيدوق قل له انني سأذهب الى فندق (ريتز) قبل ظهر اليوم لأتناول معه كأسا من الويسكي .. الى اللقاء يا صغيري العزيز .

ووضع السماعة ، والتفت الى روجر وسونيا وهو يقول :

— هذا بديع . لقد وضعت له (الطعم) فابتلعه في غير حذر . هل ادركت غرضي يا روجر ؟؟

— كلا ..

— وانت يا سونيا ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا .. وضحك القديس وقال وهو يشعل لفافة تبغ :

— ان ماريوس يعلم الان انك عندي ، ويعتقد انك ما زلت تعانين من تأثير المخدر ، وليس في استطاعتك الانتقال الى دار السفارة قبل غد .

وعلى هذا الاعتقاد سوف يعمل على اختطافك من هنا قبل ان تعودي الى دار السفارة الامريكية .

فقال روجر ساخرا :

— وكيف يختطفها وهو لا يعرف عنوان هذا المنزل ؟

— انني ذكرت له العنوان الان .

— وكيف ؟

— أؤكد لك انه الان على اتصال بشركة التليفونات لمعرفة رقم تليفوني ؟

— هل نسيت أن الشركة لا تبوح قط بعناوين المشتركين وأن رقم تليفونك لا يدله على عنوان منزلك ؟

— يخيل الى انك لست في وعيك يا عزيزي روجر . فهل تظن ان ماريوس يعجز عن معرفة عنوان هذا البيت ؟ أليس أيسر عليه من البحث في (دليل لندن) لمعرفة عنوان صاحب التليفون رقم (٣٤٠١٥) .

ان لديه جيشا من الاعوان والاتباع .. وفي استطاعته ان يحشد جميع اعوانه للبحث في كل صفحة من صفحات (دليل لندن) .. وهي مهمة قد لا تستغرق منهم أكثر من نصف ساعة .

قال روجر :

— هب انه عرف عنوان هذا المنزل . فماذا نفيد من ذلك ؟

فاجاب القديس وهو يرسل من فمه سحابة من الدخان :

— سأوضح لكما خطتي . فاصغيا الى .

الفصل الرابع

مقابلة

دخل الشيخ فندق (ريتز) وهو ينتزع قدميه من الارض انتزاعا .

كانت تجعدات وجهه . وحركاته البطيئة تدل على انه تجاوز السبعين من عمره . اما ثيابه ، فكانت ثياب رجل يعرف معنى الاناقة رغم تقدمه في السن .

قال محدثا احد خدم الفندق :

— انني اريد مقابلة الارشيدوق رودلف .

— اي اسم اذكر له يا سيدي ؟

فاخرج الشيخ من جيبه بطاقة قدمها الى الخادم وهو يقول :

— انبئه بأن اللورد كريزر يرجو مقابلته لأمر هام .

فتناول الخادم البطاقة وهو يقول :

— تفضل بالجلوس يا سيدي . ريثما احمل اليه بطاقتك .

فجلس اللورد في الانتظار .. وعاد الخادم بعد لحظة

وقال وهو يحني رأسه باحترام :
— تفضل يا مولاي .
وذهب باللورد الى الجناح الخاص بالارشيدوق .. وارشده الى غرفة الاستقبال .
ومن عجب ان اللورد لم يكد يمر بباب الغرفة .. حتى ارتفع راسه واعتدلت قامته .
ونهض الارشيدوق لاستقبال ضيفه .
صعده بعينيه من قمة راسه الى اخمص قدميه بنظرة تدل على التساؤل .
قال اللورد :
— اعتقد انك لا تذكرني يا صاحب السمو .
فأجاب الارشيدوق في ادب وهو يبتسم بلطف .
— لا اذكر انني تشرفت بمقابلتك قبل الآن يا سيدي اللورد .
فابتسم اللورد بدوره وقال :
— ومع ذلك فانني اعلم انك قوي الذاكرة .. فهل نسيتني بهذه السرعة ؟
فقال الارشيدوق معتذرا :
— انني اقابل اناسا كثيرين .
فرفع اللورد عويناته وازال لحيته وقال :
— احسب انك ستذكرني الآن .
فابتسم الارشيدوق وهتف بهدوء تام :
— آه .. ! هذا انت يا مستر تمبلار ولكن لماذا التنكر .. ولماذا هذه الحيلة وهذا الحذر ؟ ام لعلك اردت ان تلبس زيارتك ثوب المفاجآت .
فضحك القديس واجاب :
— كان لابد من الحذر يا سمو الارشيدوق اما عن الباس

زيارتي ثوب المفاجآت فذلك ما لم افكر فيه لانني اعرف انك رجل لا يهتز له عصب امام اشد المفاجآت .
— مهما يكن من امر فانني مسرور بمقابلتك .
فسأله بلطف :
— هل انت واثق من ذلك ؟
فلم يجبه الارشيدوق .. بل تناول علبة ذهبية بديعة قدمها اليه وهو يقول :
— هل لك في لفافة تبغ ؟
— شكرا لك ، ولكني افضل تدخين لفائفي الخاصة . لانها اسلم لصحتي ..
فهز الارشيدوق كتفيه وقال :
— انك اخطأت في اختيار مهنتك يا مستر تمبلار كان يحسن بك ان تشغل وظيفة في السلك السياسي .
فأجاب القديس ساخرا :
— ان الفارق بسيط بين مهنتي ومهنة الساسة فالساسة يحتالون على الشعوب . اما انا فاحتال على الافراد .
ومن يدري . فقد ارقى في احد الايام الى مرتبة الساسة .
— اذكر انني عرضت عليك مرة أن تعمل في خدمتي .
— هذا صحيح .
— ولكنك رفضت .
— وهذا ايضا صحيح .
— ترى هل عدلت عن رفضك ؟
فابتسم القديس واجاب :
— هب انني قلت لك انني عدلت عن رفضي . وانني نسيت او تناسيت مصرع صديقي نورمان كينت .
وهب انني قلت لك ان جميع المبادىء التي كنت ادين بها .. والاغراض التي كنت اسعى اليها .. اصبحت

لا تعنيني .. ولا تهمني .. فهل ترحب بي في خدمتك ؟

فأجاب الارشيدوق .

— اذا اردت رأيي بصراحة قلت لك اني لا ارحب بك .

انني اعجب بك واعترف بمواهبك وذكائك .. ويهمني ان تصبح في عداد اعواني .. ولكني اعلم ان ذلك حلم بعيد التحقيق .. واعلم فوق ذلك انك اذا انقلبت على مبادئك ولبست غير ثوبك .. اصبحت غير من انت الان .. فتقل اهميتك ويأفل نجمك .

فسار القديس الى احد المقاعد وتهالك عليه .. وراح يرقب الارشيدوق من خلال سحب الدخان التي تنبعث من فمه .

قال الارشيدوق في لطف وأدب .

— وحيث انك لم تأت الان للانضمام تحت لوائي فمما لا شك فيه انك ترمي من وراء هذه الزيارة الى غرض آخر .. فهل لي ان اعرف غرضك ؟

فأجاب القديس بهدوء :

— انني جئت لأتجاذب معك اطراف الحديث .. فقد احسست في خلال الاربع والعشرين ساعة الأخيرة ان في الجو رائحة غامضة .. وخطر لي انني ربما استطعت ان اسمع منك ما ينقي الجو .. ويوضح غموضه .. وكان بودي ان اجد عندنا صديقنا العزيز الدكتور ماريوس ليساهم معنا في الحديث .

— انني انتظر قدومه بين لحظة واخرى . لقد كان هو المسئول عن .. عن الحادث المشئوم الذي ذهب ضحيته صديقك نورمان كينت .

فلمعت عينا القديس وقال : هذه احدى الحقائق التي كنت احترق شوقا الى معرفتها .

ثم استطرد على الاثر .. بصوت هادئ لا ينم عن الحقد الذي يملأ جوانب نفسه :

— انت تعلم الغرض من زيارتي يا سمو الارشيدوق .. انني جئت لاستفسر عن صحة صديقك هتريخ .

— اعتقد انه في خير حال .

— ماذا قال لرجال البوليس ؟

— آه .. لقد كنت اتوقع هذا السؤال .

— لا عجب .. فانني رجل مطبوع على الفضول .

فدق الأرشيدوق رماد لفافته ببطء وأجاب :

— مادمت تريد ان تعرف . فاعلم اذن انه انبأ رجال البوليس بأن عمه الذي اعتاد ان تفاجئه نوبات عصبية حادة قد وصل من (ميونيخ) امس وانك اقتحمت المنزل زاعما انك طبيب فاستطعت الدخول قبل ان يتمكن من طردك ودحض مزاعمك . ثم هددته بمسدسك وانبأته بانك القديس . واختطفت عمه المريض .

ولم يكن دوسل يعلم بطبيعة الحال لماذا اقدمت على هذه المغامرة ولماذا اختطفت (المريض) ولكنه وجد انه لا يخسر شيئا اذا ترك لرجال البوليس حل هذه المعضلة .

— واذن فهذا هو السبب في انتشار رجال البوليس في الاماكن التي اعتدت غشيانها .

— لا شك في ذلك .. وقد كان هتريخ موفقا في الايضاحات التي ادلى بها لرجال البوليس .

انه ضرب عصفورين بحجر واحد .. فتخلص من مضايقات البوليس . واطلق رجال سكتلنديارد (ادارة البوليس) في اثرك .

— انه رجل ذكي .

— ولكنك كنت اذكى منه يا عزيزي تمبلار كانت حيلتك

غاية في البراعة ولو لم تذكر اسمك لما تعذر على أن أعرف انك صاحب هذه الحيلة لأن عليها طابع ذكائك وبراعتك .

ولكن حدثني يا مستر تمبلار ماذا فعلت بالفتاة ؟

وقد القى الأرشيدوق هذا السؤال ببساطة وقلة اكتراث .

فحملق القديس في وجهه . ثم ضحك وقال :

ــ هذه سذاجة لم اعهدها فيك يا رودلف .

فرفع الأرشيدوق حاجبيه وقال وقد ارتسمت في عينيه نظرة بريئة :

ــ انك اردت ان تعرف امرا فسألتني ، واعتبرت غاية غرابة في ان احذو حذوك !

فهز القديس رأسه .. وابتسم .. وغاص في مقعده .. ورفع عينيه الى سقف الغرفة .

لم يكن في سقف الغرفة ما يلفت النظر .

كان يفكر . ويحاول أن يكتشف شيئا من خواطر الشاب الهادىء الجالس امامه .

ولكنه ما لبث أن اعترف بعجزه عن التغلغل في اعماق هذا التمثال الجامد .. وهذا المخلوق الجهنمي الذي يعرف كما لا يعرف اى انسان آخر كيف يسيطر على عواطفه ، ويخفي شعوره ، ويظهر غير ما يبطن .

شعر القديس بأنه امام غريم كفء لا يقل عنه دهاء وسعة حيلة .

❋ ❋ ❋

التقت عيونهما لحظة ، كما يلتقي السيفان .

قال الارشيدوق :

ــ ما اشبهنا برجلين يتبارزان بأسلحة غير منظورة .. ولا يستطيع كل منهما أن ينال من غريمه .

فلم يجبه القديس واستطرد الارشيدوق :

ــ من المتفق عليه بيننا انك عقبة في سبيلي يسرني كثيرا أن اتخلص منها .. فما قولك اذا اسلمتك الان الى رجال البوليس ؟

ــ اذا فعلت ذلك تعين عليك ان تجيب على بضعة اسئلة حول مسائل يهمك الا تثار في دوائر البوليس .

ــ هذا صحيح .. وما قولك فيما اذا قررت ان اتخلص منك .. الان .. هنا .

ــ هذا أمر متعذر .. في فندق حافل بالنزلاء والخدم كفندق ريتز .

ــ ذلك صحيح ايضا .

وصمت الارشيدوق قليلا ثم قال :

ــ ان بين يديك الان شيئا .. أو شخصا .. يهمني أمره .

ــ انت تعني (عم) هنريخ طبعا .

ــ وانت يهمك ان تعرف لماذا يهمني أمر هذا الشخص .

ــ ربما .

ــ اذن فما قولك في ان نتبادل .. فترشدني الى مكان الشخص .. وأصارحك بغرضي منه .

ــ لا اظن أن هناك سبيلا الى هذه المبادلة .

فساد الصمت بين الرجلين مرة أخرى .

❋ ❋ ❋

وفجأة .. سمع القديس وقع اقدام .. ثم فتح باب الغرفة .. ودخل رجل ضخم الجسم كالعمالقة .. بشع الخلقة كالقرود

هتف الرجل بصوت ينم عن السرور :

ــ يا صاحب السمو .

ثم سمت فى الحال .. اذ وقع بصره على القديس .
ونهض القديس واقفا وقال وهو يبتسم .. ويده اقرب ما تكون الى الجيب الذى وضع به مسدسه .
ـ ماريوس .. اهذا انت .. ما اعظم سرورى بلقائك .
فقطب العملاق حاجبيه وتحول الى الارشيدوق وبدأ يتحدث اليه باللغة الالمانية بصوت اجش .
ولكن الارشيدوق قاطعه بقوله :
ـ لنتكلم بالانجليزية او الفرنسية يا عزيزى ماريوس .. فيهم صديقنا تمبلار ان يعرف موضوع الحديث .
فسأل ماريوس بالانجليزية :
ـ كيف استطاع الدخول ؟
ـ انه دخل من الباب .
ـ ورجال البوليس .. كيف
فقاطعه الارشيدوق :
ـ لقد تحدثت فى هذا مع مستر تمبلار يا عزيزى ماريوس. صحيح ان هنريخ وجه اليه بعض التهم لتغطية موقفه . ولكن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بان القبض على مستر تمبلار من شأنه ان يجر علينا بعض المتاعب والمضايقات .
فغمغم القديس :
ـ بل انه يجر عليكما متاعب لا حصر لها .
فتجاهله الارشيدوق . وقال وهو يشعل لفافة تبغ اخرى:
ولكن ماذا عندك من الانباء يا عزيزى ماريوس ، لقد كانت تبدو على وجهك علامات الارتياح عندما دخلت .
فاجاب ماريوس :
ـ اننى نجحت فى مهمتى يا مولاى .
ـ تكلم .. واوضح .. فهذه انباء قد تسر صديقنا تمبلار .

* * *

وينظر ماريوس الى القديس باحتقار وسخرية وادرك القديس ما وراء هذه النظرة .
قال العملاق ببطء :
ـ ان الانسة سونيا ديلمار بين ايدينا .
فلم يأت القديس بحركة ولم ينطق بحرف .
واستطرد ماريوس وهو ينظر الى القديس :
ـ لعلك تذكر انك اتصلت بى تليفونيا لتتبجح بفوزك .. وقد كان تبجحك هذا سببا فى فشلك .. فاننى اتصلت فى الحال بادارة التليفون .. وعرفت رقم تليفونك .. واهتديت الى عنوانك فى (دليل لندن) .
وقد وجدنا سونيا ديلمار وحدها فى بيتك فكان الامر ايسر مما توهمنا .. لاننى كنت اتوقع ان اجدك او ان اجد بعض اصدقائك .
فقاطعه القديس :
ـ هذه خدعة ، انك لم تستطع الوصول اليها .
فقال الارشيدوق :
ـ لا اظن ذلك يا عزيزى تمبلار فالدكتور ماريوس رجل مقتدر وليس هناك ما يحمله على الكذب .
فاقترب ماريوس من القديس خطوة .. وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :
ـ انك وصديقك نورمان كينت قد خدعتمانى فى احد الايام .. وقد دفع صديقك حياته ثمنا لهذه الخدعة ، ماذا خطر لك الان ..
فقاطعه الارشيدوق مرة اخرى :
ـ لنكن عمليين يا عزيزى ماريوس .. انك نجحت فى مهمتك .. وهذا حسن .. ولكن صديقنا هذا يأبى الا ان يتدخل فى كل شأن من شؤوننا .. وقد تفضل الان فالقى بنفسه بين ايدينا .
فقاطعه القديس بان ضحك وقال متمما عبارته :

فقاطعه القديس بأن ضحك وقال متمما عبارته :

— لماذا يجب أن نفعله بجثته ؟؟

حسنا .. سأترك لكما الوقت الكافي للتفكير فيما يجب ان تفعلاه بجثتي .. ولكني احب فقط الا يعتقد صديقي العزيز ماريوس ان النبأ الكاذب الذي نقله الينا الان عن اختطاف الانسة سونيا فيلمار قد اشعل الشيب في راسي .

قال ذلك .. وخلع قبعته .. وانتزع كتلة الشعر الاشيب التي تنكر بها ..

فعل ذلك ببساطة ..

وببساطة كذلك سقطت كتلة الشعر من يده .. فانحنى ليلتقطها .

ولكنه لم يكد يلتقطها حتى سقطت القبعة من يده كذلك .. وتدحرجت على ارض الغرفة .. واصبحت على مسافة خطوة واحدة من الباب .

فتبعها في هدوء .. وبطء .. والتقطها . ووضعها على راسه . وهو يقول :

— ان الخصوم الاقوياء الذين على شاكلتنا .. لا يمكن ان يعيشوا طويلا في جو واحد .. ولذلك ارجح اننا سنتقابل مرة اخرى .. وعندئذ تكون تصفية الحساب .. فالى اللقاء .

قال ذلك ومرق من الباب كالسهم ..

وبعد لحظة سمع الرجلان صوت غلق الباب الخارجي .

* * *

كان غرض القديس من هذه الزيارة ان يستدرج الارشيدوق الى الافضاء ببعض المعلومات . ولكنه قام بالزيارة دون ان يضع خطة معينة .

كان يعتمد — كما هي العادة — على ذكائه .. وسرعة خاطره .. ثم على الظروف والفرص التي قد تسنح له .. لانه تعلم بالتجربة أن وضع الخطط المطولة مضيعة للوقت

.. سيما اذا كان خصومه من طراز الارشيدوق والدكتور رايت ماريوس .. اي من الدهاة الاقوياء .. الذين يستطيعون ان يفسدوا عليه تدابيره باشارة او كلمة .

اما الفرص التي تعرض عفوا .. وتنتهز بلباقة وذكاء .. فانها تكون في العادة اجدى من الخطط الموضوعة .

وقد كان القديس مقتنعا بصدق النبأ الذي جاء به ماريوس .. ولكنه قدر أن مثل هذا النبأ لا يمكن ان يمر بغير تعليق او تعقيب .. وان حديثا في صدده لابد ان يدور بين الرجلين .. وهو لذلك كان ابعد من ان يفكر في الفرار .. قبل ان يسمع هذا الحديث الهام .

وفتح القديس الباب الخارجي .. واغلقه .

ولكنه لم ينصرف بل عاد ادراجه بخفة .. وتوارى في الغرفة المجاورة لقاعة الاستقبال حيث ترك الارشيدوق وماريوس .

* * *

وقد كان خروج القديس بتلك السرعة مفاجئا .. وغير منتظر . فانقضت بضع ثوان قبل ان يدرك ماريوس ما حدث .. فلما ادرك ذلك . وهم بأن يسرع في اثر القديس .. استوقفه الارشيدوق بقوله :

— لا فائدة من احداث جلبة الان يا عزيزي ماريوس ولكن لا يزال في الاستطاعة القاء القبض عليه يا ..

يجب الا ننسى ان في استطاعته ان يقول عنا كلاما يجلب علينا من المتاعب اكثر مما يجلب تدخله في شؤوننا .. فدعه يذهب وسوف نتقابل كما قال .. وعندئذ تكون تصفية الحساب ..

— لقد كانت الفرصة سانحة الان للتخلص منه .

— لا تزال الفرص كثيرة يا ماريوس .. اجلس الآن وحدثني بما فعلت ..

فجلس العملاق في احد المقاعد .. ونظر اليه الارشيدوق في فضول ..

قال ماريوس باختصار :

— اننا اختطفنا الفتاة .. وارسلناها الى (سولتهام) .. وستاتي الباخرة الليلة مرة اخرى .. وسيكون (ناسيلوف) على سطحها .. وسوف يتم زواجهما بمجرد اجتماعهما في الباخرة .

— وقبطان الباخرة ؟

— انه اطوع لي من بناني .

— وهل انت واثق من نجاح الخطة ؟ هل انت واثق من ان هذا التحدي فيه الكفاية ؟

— نعم .. فانا اعرف السير جون ليسنج كما اعرف نفسي .. وليس عندي اقل شك في انه سيقبل اقتراحي .. فاذا لم تظهر طوارىء او عقبات ليست في الحسبان .. كان دخولك (اوكرانيا) قبل انقضاء اسبوع واحد امرا مؤكدا .

كانا يتحدثان باللغة الالمانية .. وقد سمعهما القديس وفهم حديثهما .

وجد ان هذه العبارات القلائل التي تبودلت بين الرجلين تؤيد ظنونه .. فاقليم (اوكرانيا) هو اغنى اقاليم روسيا بالبترول .. واقربها الى حدود (بافاريا) .

سأل الارشيدوق :

— والاجراءات الاخرى يا ماريوس .. هل تمت كلها ؟

— كل شيء يسير على ما يرام يا سيدي الارشيدوق .. الم تقرأ الصحف .. وتلاحظ مبلغ توتر العلاقات الدولية ؟ ان برميل البارود على استعداد .. ولا تنقصه سوى الشرارة

التي تحدث الانفجار .

وقد تلقيت اليوم برقية بالشفرة من احد رجالي في (فيينا) فحللت هذه الرموز .. واليك نص البرقية يا مولاي .

فتناول الارشيدوق الورقة التي قدمها اليه ماريوس ... وقرأها . واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

وظل ماريوس قابعا في مكانه .. يتبع الارشيدوق ببصره وهو يروح ويجيء .

وتكلم الارشيدوق اخيرا فقال :

— وما قولك في صديقنا تمبلار .. انه رجل ذكي .. وانا شديد الاعجاب به .. ولكني لا اسمح قط لشعوري الشخصي ان يطغى على المصلحة العامة .

انه قذى في عيوننا .. ويجب ان اشجعك على التخلص منه .

لا شك انه سيحاول البحث عن الآنسة سونيا ديلمار متى علم انك كنت جادا فيما ذكرت .. وانك اختطفتها حقا .

فقال ماريوس وهو يبتسم :

— سوف أتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته في ابحاثه الى حد ما .

— ومن ثم تتخلص منه باحدى الوسائل ؟

فاجاب العملاق بصوت ينم عن غيظه وحنقه :

— لا شك انني سأتخلص منه هذه المرة نهائيا .

فضحك الارشيدوق .

الفصل الخامس
المطاردة

تسلل القديس من فندق (ريتز) .. دون أن يرتاب أحد في أمره ..

كان قد ذهب الى الفندق لتسقط الأنباء .. فخرج منــه متخوما بالمعلومات الهامة الخطيرة التى وصلت الى انتباهه دون ان يكلف نفسه شيئا كثيرا من العناء .

فسد لتوه الى شارع ســان جيمس .. ودخــل (نادى السيارات الملكى) .. وبحث هناك فى الخرائط الكثيرة التى بالمنتدى عن موقع (سولتهام) .

وبعد بحث قصير وجد ان (سولتهام) هى قرية صغيرة فى (سافولك) تقع بين مدينتى (ساوثوالد) (والدبورج) .. وان بها اكمة مرتفعة تشرف على الشاطىء .

اثبت القديس هذه المعلومات فى ذاكرته .. وانصرف من نادى السيارات الملكى وهو يفكر .

وما زال يجد فى السير حتى وصل الى ميدان (ووترلو) توقف هناك فى مكان معين .. واخرج لفافة تبغ .. واشعلها .. وراح يدخن ..

ولم تنقض بضع دقائق . حتى اقبل عليه غلام فى نحــو الثانية عشرة من عمره .. وساله :

ــ هل انت مستر سميث ؟

فاجابه القديس بغير تردد :

ــ نعــم .

ــ لقد طلب الى بعضهم ان احمل اليك هذه الرسالة .

فتناول القديس الرسالة وفضها .. وقرا فيها ما يلى :

« لم اتلق رسالة ــ انا فى الطريق نحو الشمال الشرقى ــ سابعث اليك ببرقية من (والدورف) » .

« روجر »

كانت الرسالة مكتوبة بالقلم الرصاص .. وحروفها تدل على انها كتبت بسرعة .

اعاد القديس قراءتها .. ثم قال للغلام

ــ شــكرا لك ..

ووضع فى يده قطعة من النقود ..

كان مما يؤسف له ان ينفق روجر بضعة شلنات .. ثمنا للبرقية التى سيرسلها من (والدورف) لارشاد القديس الى المكان الذى حملت اليه الفتاة .. فقد عرف القديس هــذا المكان قبل ان يبرح فندق (ريتز) ..

بيد انه عندما وضع خطته الاساسية .. لم يكن يعــلم انه سيوفق كل هذا التوفيق فى زيارته للارشيدوق ..

كانت خطة محكمة .. محبوكة الاطراف .. لم يترك فيها القديس شيئا للظروف والمصادفات .. حتى لا تفلت منــه الفتاة .. وتقع لقمة سائغة فى يد ماريوس ..

وقد دلته الرسالة التى حملها اليه الغلام على ان الخطة نفذت بدقة ونجــاح ..

كان قد اتفق مع روجر على ان يكمن هذا الاخير فى سيارته فى مكان من الشارع يستطيع منه ان يرقب كل ما يقــع فى المنزل .. حتى اذا اختطفت سونيا .. امكنــه ان يتعقب خاطفيها عن كثب ..

واتفق معه كذلك على ان يصطحب معه غلاما .. لــكى يدفع اليه برسالة كتلك التى بعث بها .. وذلك بمجرد خروجه من لندن .. ومعرفته الطريق او الاتجاه الذى سلكه خاطفو سونيا ..

كذلك اوعز القــديس الى سونيا ان تلقى برســالة الى روجر ــ اذا استطاعت ــ تذكر فيها المكان الذى يقصد اليه اعوان ماريوس .. هذا اذا نطق احد خاطفيها باسم ذلك المــكان على مسمع منهــا ..

والظاهر ان سونيا لم تستطع معرفة ذلك المكان . او لم تتمكن من الكتابة . بدليل ان روجر لم يتلق منها رسالة ما .

ومهما يكن من امر فان القديس كان مطمئنا الى ان الفتـاة لم تفلت من يده . .

شيء واحد ادهشه وحيره . . هو كيف اسـتطاع أولئك الأشقياء أن يختطفوا الفتاة في رابعة النهار في شارع حافل بالمـارة ورجال البوليس ؟

وحول منتصف الساعة الثامنة . هبط القديس من القطار في محطة (والدورف) وقصد توا الى مقصف (بوفيه) المحطة . . وهناك رأى روجر جالسا بين اربع زجاجات جعة .

واحس روجر بيد توضع على كتفه . فرفع رأسه مذعورا . ونظر الى القديس كما ينظر الى ميت خرج من قبره .

هتف :

ــ انت . . انت . . ماذا جاء بك الى هنا ؟

ــ رأيت سيارتي امام المحطة . فادركت انك هنا .

ــ ولكن كيف علمت انني في (والدروف) ؟

ــ الم تبعث الى ببرقية ؟

ــ نعم . ولكني بعثت بها منذ نصف ساعة فقط . في حين ان الرحلة من لندن الى هنا تستغرق اربع ساعات بالقطار .

ثم انني طلبت اليك في برقيتي أن تتحدث الى تليفونيا لانهي اليك بعض المعلومات الهامة . ولكني انتظرت هنا عبثا . . ومر الوقت بسرعة دون أن تتصل بي تليفونيا كما طلبت اليك . حتى خيل الى انك لابد قد وقعت بين يدي المفتش تيل . او غيره من الأصدقاء الذين يبحثون عنك . .

فأجابه القديس وهو يبتسم :

ــ الواقع . انني لم اكن بحاجة الى برقيتك أو الى مـا عندك من الأنباء الهامة . فقد علمت من ماريوس نفسه ان الفتاة في حوزتهم .

ــ يا الهي . . وكيف ذلك ؟

ــ الامر بسيط . . كان ماريوس يتكلم فأصغيت اليه .

ــ في فندق ريتز ؟

فاومأ القديس برأسه علامة الايجاب . . ثم سرد علـى صديقه بايجاز ما اتفق له .

واصغى اليه روجر في دهشة ثم هتف :

ــ هل سمعت كل هـذا ؟

ــ نعم . . وهو يؤيد ما استنتجته منذ البداية . . ولكني لم اعلم بعد كيف اختطفت سـونيا .

فأجاب روجر :

ــ انني كنت ارقب الباب عن كثب كما امرتني . . فجـاء ثلاثة اشخاص . . احدهم يرتدي ثوب مفتش بوليس . . ومد احدهم اصبعه الى جرس الباب . . ولكنه لم يدق الجرس . . ثم اخرج الثاني من جيبه اداة وضعها في ثقب الباب . وما هي الا لحظة حتى فتح البـاب .

وما كاد الرجال الثلاثة يتوارون داخل المنزل . . حتى اقبلت احدى سيارات الاسعاف . . ووقفت امام الباب . . . وهبط منها رجلان يرتديان ثياب رجال الاسعاف .

كانت المؤامرة غاية في الدقة والبراعة . واقول لك الحق انني لم اتمالك من الشعور بالاعجاب بذكاء هؤلاء الاشقياء .

وبعد دقيقتين او ثلاث . . خرج الرجال من المنزل حاملين الفتاة على احدى النقالات .

كل ذلك في وضح النهار . . تحت سمع المارة وابصارهم .

ولم تستغرق المهمة كلها اكثر من خمس دقائق . . ثم وثب الجميع الى سيارة الاسعاف . . وانطلقت بهم تسابق الريح .

ومما لا شك فيه انهم خدروا سـونيا قبل ان يختطفـوها والا . .

فقاطعه القديس بصوت خافت :

ـــ ياالها من فتاة عظيمة !

فقال روجر بلهجة الحالم :

ـــ نعم .. انها فتاة عظيمة ..

فنظر اليه القديس بامعان .. وراح يحملق نحو احدى زجاجات الجعة .. وعلى وجهه علامات التفكير والذهول ..

قال فى رفق :

ـــ هل وقعت فى شركها ؟

فرفع روجر عينيه .. وسأل بدوره :

ـــ وأنت ؟

فلم يجبه القديس .. بل اخرج من جيبه لفافة تبغ .. واشعلها .. وراح يدخن فى سكون .

قال بعد لحظة :

ـــ ان حيلة سيارة الاسعاف .. هى من الحيل الطريفة .. سجلها فى ذهنك يا روجر .. عقد تجربها فى احد الأيام .

انت تعقبتهم طبعا الى سوالتهام ؟

ـــ نعم ..

ـــ واين وضعوا الفتاة ؟

ـــ انهم ذهبوا بها الى منزل كبير قائم على اكمة بعيدة عن القرية . وقد مررت بسيارتى فى الزحام .. ولكنى لم اجرؤ على الوقوف .

ثم انحرفت بالسيارة .. وعدت ادراجى الى هنا .

وبهذه المناسبة .. يجب أن اقول لك اننى عرفت زميلا قديما من زملائنا .. بين اولئك الذين رأيتهم متنكرين بزى رجال الاسعاف .

فنظر اليه القديس متسائلا .. وقال روجر :

ـــ عرفت بينهم صديقنا القديم هرمان . الذى كان ساعد

ماريوس الايمن فى حادث اختراع الاستاذ فارجان .

فقال القديس بلطف

ـــ سوف يكون من بواعث سرورى أن اجدد معرفتى به واحتسى قدحا من الجعة .

قال روجر بعد لحظة :

ـــ يخيل الى ان افضل ما نستطيع عمله الان .. هو أن تتصل تليفونيا بالمفتش تيل .. ونرشده الى مكان سونيا .. فيلقى القبض على هؤلاء الاشقياء وهم فى حالة تلبس .

ـــ ويلقى القبض علينا كذلك .. ونحاكم .. ونتقبل الحكم كالأبطال البواسل . أليس كذلك ؟

ـــ ليس من الضرورى أن نستهدف للاعتقال .. ففى استطاعتنا ان نرتب ما يحدث من بعد .

ـــ وماريوس ؟

ـــ اننى لم أره مع أولئك الذين اختطفوا سونيا . ولكن ليس أيسر علينا من الايقاع به .. بعد ان نجرده من اعوانه.

ـــ كلا يا صديقى .. ليس يكفى أن نقطع ذنب الأفعى .. ان ماريوس مجرم من أخطر طراز .. فليس يكفى اذن أن نحبط مؤامراته الواحدة تلو الاخرى .. لانه سيداب على نشاطه .. ما دامت فى عروقه نقطة دم واحدة .. تهيب به أن يعمل على ابادة الجنس البشرى ليملأ جيوبه بالاصفر الرنان ..

الاهم ان نبيد هذا الرجل .. والمهم ان ننال لصديقنا نورمان كانت ..

اننى عدت الى انجلترا لهذا الغرض .. ولن يهدأ لى بال حتى اشعر باننى انتصرت وانتقمت .

كلا يا صاحبى .. اذا نحن تركناه الان فانه يعود الى نشاطه ومؤامراته بعد ايام .. او بعد اسابيع أو شهور ..

فيصبح لزاما علينا بدورنا ان تبدأ جهودنا من جديد .
ثم ان بيني وبينه حسابا يجب تصفيته .. ومن الافضل ان تتم التصفية بأسرع ما يمكن .. وخير البر عاجله .
فهز روجر كتفيه وسأل :
— اذن ماذا يجب ان نفعل الان ؟
— لا سبيل غير ان ننطلق الى سولتهام فى الحال .

* * *

أوقف روجر السيارة فى دغل على بعد ثلاثة اميال من « سولتهام » وقال :
— ها هو المنزل .
واشار باصبعه الى كتلة سوداء ضخمة قائمة فى الخلاء فسأله القديس :
— هل تحيط بالمنزل حديقة ؟ اننى أرى فى الظلام اشباح اشجار .
— ان المنزل قائم وسط قطعة أرض مترامية الاطراف مليئة بالعوسج والعشب .. وبين باب المنزل وشاطىء البحر طريق ملتو يتحدر على سفح الاكمة حتى يصل الى الشاطىء .
وسار الصديقان فى حذر .. حتى مرا بباب المنزل .
تساءل القديس :
— ترى هل لا تزال الفتاة هنا ؟
وحانت منه التفاتة نحو الشاطىء فرأى فى عرض البحر كتلة سوداء ضخمة يضىء فيها مصباحان أحدهما أحمر والاخر أخضر فهتف :
— انظر يا روجر .. ها هى الباخرة التى تكلم عنها ماريوس .

قال ذلك بصوت يرتجف من فرط الانفعال والسرور لاقتراب ساعة النضال ..
اما روجر فانه حول بصره نحو البحر .. ورأى الباخرة وشعر بقلبه يهبط بين جنبيه .
قال :
— انها تقترب يا سيمون .
ثم سأل بعد لحظة :
— هل تستطيع تقدير الوقت اللازم لوصولها الى الشاطىء ؟
— ذلك يتوقف على سرعتها .. وعلى المسافة التى تفصلها عنا . ومن المتعذر علينا تقدير هذه السرعة وهذه المسافة .. بسبب ارتفاعنا العظيم عن مستوى الماء ... ولكنى ارجح انها الان على بعد ميلين من الشاطىء .
قال ذلك .. ثم رفع رأسه .. وخيل انه ينصت . فسأله روجر :
— ماذا سمعت ؟
— لا شىء .. وتلك هى المعضلة .. لاننا لم نر ماريوس اثناء قدومنا والمسألة الان .. هى هل وصل هذا الرجل الى المنزل قبلنا .. او انه لا يزال فى طريقه الى هنا .. ؟
فهز روجر رأسه ولم يجب ..
ونظر القديس الى البحر .. والى المنزل .. ثم وقف فجأة وقال بلهجة جدية :
— اصغ الى يا روجر .. اننى اريدك على ان تعود فى الحال الى لندن .
فساد صمت قصير .. ثم تكلم روجر .. فقال ببطء .. كأنه يريد ان يفهم معنى كل كلمة :
— تريدنى على ان اعود فى الحال الى لندن ؟

ــ نعم .. عد الى لندن .. وابحث عن السير جون ليستنج .. ابحث عنه فى كل مكان .. وجىء به الى هنا .. ولو رغم أنفه ..

ــ ما هذا السخف يا سيمون ؟

ــ ان وجود هذا الرجل ضرورى جدا يا روجر ..

ــ وسونيا ؟

انتى هنا .. وسابقى هنا للدفاع عنها اذا لزم الحال .. تكن مطمئنا ..

يجب ان تسجل فى هذه الرحلة رقما قياسيا فى السرعة .

ــ ان فى استطاعتك ان تسرع بالسيارة اكثر مما نستطيع .

ــ ربما .. ولكن لا تنس ان فى استطاعتى ان اتناضل عددا من الرجال لا تستطيع انت بتناضلهم .. واستطيع ان اصيب الهدف كما لا تستطيع انت ..

اضف الى ذلك ان رجال البوليس فى لندن يبحثون عنى ويترصدوننى فالرحلة الى لندن اسلم لك منها لى .

هل فهمت يا روجر .. يجب ان تاتى بالسير جون ليستنج باسرع ما يمكن .

فصمت روجر . وكان صمته ابلغ من الكلام فى التعبير عن تردده .

وادرك القديس معنى تردده .. وفهم انه لا يريد ان يتخلى عن الفتاة فى هذا الوقت الدقيق .. والباخرة تقترب .

قال :

ــ اصغ الى يا فتى .. اننا نعلم الآن ان هذه المؤامرة لم تدبر الا لاثارة السير جون ليستنج .. وايغار صدره .. واعداده لان يقبل ــ بدافع الرغبة فى الانتقام ــ ما سوف يقترحه عليه ماريوس من اشعال النار فى البلقان . واثارة حرب ضد روسيا .. وهى الحرب التى يريدها ماريوس

ليملأ جيوبه .. ويريدها الارشيدوق رودلف بدافع من غروره وخيلائه .. واعتقاده بانه يصلح لان يكون نابوليونا عصريا ..

ونجاح ماريوس يتوقف على جهل السير ليستنج بمؤامراته .. فاذا علم ليستنج بهذه المؤامرة .. وضبط ماريوس متلبسا .. فان المؤامرة لا تفشل فحسب .. بل اننا نكسب كذلك صديقا وعونا قويا فى شخص السير ليستنج .. وتكون الحرب التى يشعلها السير ليستنج هى ضد ماريوس وامثاله .. لا ضد روسيا .. فهل فهمتنى الآن يا روجر .

وضغط على كتف صديقه . فأطرق روجر برأسه وقال :

ــ نعم .. اننى فهمتك ولكن ..

ــ اننى اعدك بان ارجىء المعركة الاخيرة حتى تعود وتشترك فيها بنفسك .

انا لم اضع خطتى بعد .. ولكنى ساتجنب المعركة الحاسمة ما امكن حتى تعود .. فلا يكون لى وحدى فخر النضال فى سبيل الغرض الذى نعمل له .. وفى سبيل الفتاة الباسلة التى يريد كل منا ان يكون له فخر انقاذها

فرفع روجر راسه .. ونظر الى القديس .. والتقت عيون الرجلين لحظة .. ثم قال روجر :

ــ ساذهب ..

فبسط القديس يده لصديقه .. فتناولها هذا وشد عليها بحرارة .

قال القديس :

ــ اذهب فى حراسة الله . ولا تنس ان الدقائق ثمينة . وان المسألة ليست مسألة موت او حياة . بل انها كذلك مسألة شرف .. شرف الفتاة التى اظن انك تحبها .

واذا رفض السير جون ليستنج ان ياتى مختارا .. فاستخدم مسدسك وارغمه على مرافقتك .

ساحاول ارجاء المعركة حتى تحضر فاذا استطعت فانك ستجدنى هنا فى انتظارك .. واذا لم استطع فساترك لك رسالة تحت حجر بجانب هذه الشجرة .. واذا لم اترك لك رسالة كان معنى ذلك ..

— كان معنى ذلك ؟

فابتسم القديس وقال :

— كان معنى ذلك اننى سبقتك الى العالم الاخر .. وانه يجب عليه متى قابلت ماريوس ان تحييه برصاصة .

الفصل السادس

المعركة

شيع القديس السيارة ببصره حتى اختفت .. ثم قفل راجعا . وسار فى الطريق الى المنزل .

كان يشعر بعنف التجربة التى مر بها روجر وخرج منها خروج الرجل النبيل .

شعر بالنضال العنيف الذى اضطربت به نفسه .. النضال بين الغيرة والصداقة .. بين الحب والواجب .. واحس بالالام التى لابد قد عصرت قلب الفتى عصرا .. حتى وفق اخيرا الى القرار الذى سجل به نبل خلقه وطيب منصره .

❊ ❊ ❊

ارسل القديس بصره نحو البحر .

كانت الباخرة على بعد ميل واحد .. لا على بعد ميلين كما زعم .

ولكنه كذب عامدا .. ليطمئن روجر .. ويغريه بالرحيل .

ولاحظ ان الباخرة قد لزمت مكانها ثم سمع رنين السلاسل الحديدية تعرك انها قد القت مرساها ..

واخذ يقترب من المنزل حتى انتهى الى اشجار العوسج التى تحيط به . وهناك ارهف اذنيه . ولما لم يسمع حركة او حسا . تراجع الى الوراء خطوة . ثم وثب فوق سور العوسج . بخفة النمر .

❊ ❊ ❊

وهبط القديس فى الجانب الاخر من سور العوسج وكان هبوطه فوق ارض مغطاة بالاعشاب الطويلة . فلم تحدث قدماه صوتا مسموعا .

ولكنه مع ذلك تريث وانصت .

كان السكون تاما والظلام شاملا . وليس ثمة بصيص من النور يخرق سجف الليل .

راح يمشى بخفة وهدوء حتى دار بالمنزل من جميع نواحيه . ثم كمن تحت احدى الاشجار . واخذ ينتظر .

ولم يطل انتظاره . فانه ما لبث ان سمع صوت محرك .

كان الصوت صادرا من ناحية البحر . فطل القديس وراءه . ورأى شبحا اسود صغيرا يشق عباب البحر فى منتصف المسافة بين الباخرة والشاطئ .

وفى ذات الوقت سمع صوتا اخر من ناحية المنزل . فحول راسه . ورأى رجلا يخرج من المنزل وفى يده مصباح . ثم رأى رجلا اخر فثالثا .

❊ ❊ ❊

فاس القديس فى مكانه بين العشب .. وراح يرقب

الرجال الثلاثة وهم يسيرون في الطريق المنحدرة نحو الشاطيء ..

كانوا يتحدثون .. ولم يتبين القديس شيئا من حديثهم حتى مروا بالقرب منه .. وعندئذ سمع احدهم يقول بالانجليزية بلهجة تخالطها الرطانة الالمانية :

— يا للشيطان . كم اود ان انام .. انني لم اذق طعم النوم منذ يومين .

فأجاب رجل آخر بمزيج من الايطالية والانجليزية :

— الا تتعب من كثرة النوم ؟

وقال الثالث برطانة اسبانية :

— انه ليس بحاجة الى النوم .. بقدر ما هو بحاجة الى الشراب .

وقد سمع القديس هذه العبارات . فابتسم وغمغم :

— الماني .. وايطالي .. واسباني .. هذا بديع .. لا شك ان ماريوس يتولى زعامة هيئة امم .

وواصل الرجال الثلاثة السير لحظة في سكون .. ثم سأل الايطالي :

— من ذا الذي سيأتي بالفتاة ؟

فأجابه الالماني باختصار :

— سيأتي بها هرمان .

وقال الاسباني :

— انها فتاة حسناء .. وهي تذكرني بغادة هيفاء قابلتها في مدريد في العام الماضي .

فقال الالماني :

— يخيل الى انها من ارقى طبقات المجتمع .

فقال الايطالي :

— ما لنا ولها .. انها لم تخلق لأمثالنا .

وابتعد الرجال الثلاثة وهم يتحدثون .. ولكن القديس لم يتبين كلمة اخرى من احاديثهم .

خطر له ان ينقض عليهم .. ولكنه عاد فلاحظ انه قد لا يستطيع التغلب عليهم .. فيكون كانه لفت الانظار الى وجوده .. دون ان يفيد من المجازفة شيئا ..

تلفت يمنة ويسرة .. حتى اطمأن الى انه ليس هناك من يتبع الرجال الثلاثة .. ثم خرج من مكمنه .. واخذ يسير في اثر الرجال ببطء وحذر ..

تخطى الارض المغطاة بالعشب .. وبدأ ينحدر في اثر الرجال في الطريق الصخرى المؤدى الى الشاطيء .

اضطر ان يبطيء وان يضاعف حذره .. حتى لا يفلت من تحت قدمه حجر يلفت اليه الانظار .

وحانت منه التفاتة نحو البحر .. فرأى الزورق البخاري يدنو من الشاطيء بسرعة .. ثم لاحظ ان الرجال الثلاثة بدأوا يسرعون الخطى ولعلهم ارادوا الوصول الى الشاطيء في الوقت المناسب لاستقبال الزورق .

واسرع القديس الخطى بدوره .. ثم اشفق ان يراه احد القادمين بالزورق فتوارى بين الصخور الناتئة وكمن هناك في الانتظار .

ووصل الزورق الى الشاطيء اخيرا .. ووثب منه ثلاثة رجال تقدم واحد منهم الى اعضاء (عصبة الامم) .. وتحدث اليهم بصوت حجبه هدير الامواج .

ورأى القديس ان حامل المصباح يلوح بمصباحه نحو المنزل . وسمع خلفه في ذات الوقت وقع خطوات على الصخور فتحول الى الوراء .. وابصر بشبحين قادمين من ناحية المنزل .

امعن فيهما البصر جيدا .. ورأى ان احدهما ضخم

عقة مهدل الثياب اما الثاني فكان صغير الجسم .. ى بخطوات رشيقة متزنة .

خفق قلبه ..

عرف فى الشبحين غريمه القديم هرمان .. وصديقته جديدة سونيا .

ولابد ان يكون الرجل الذى الذى جاء بالزورق . والرجال الثلاثة الذين ذهبوا لاستقباله قد شعروا باقتراب هرمان سونيا .. لانهم تحركوا فى الحال .. واخذوا يرقون الصخور لمقابلة هرمان وسونيا فى منتصف الطريق ..

وقد شاءت المصادفات أن تتم هذه المقابلة امام النقعة التى توارى فيها القديس .

واخذ الرجال الخمسة يتحدثون فيما بينهم باصوات خافتة .. وبقيت سونيا دبلمار وحيدة على بعدة منهم .

ولم يكن هناك ما يحمل هرمان او زملاءه على الخوف من فرارها .. فقد كانت يداها موثقتين وراء ظهرها .. كذلك كانت قدماها مشدودتين بحبل بطريقة تسمح لها بالسير ببطء .

كانت الفتاة هادئة رابطة الجأش لا يبدو على وجهها شيء من دلائل الخوف او الجزع .

وقد وقفت حيث تركوها .. مرفوعة الرأس شامخة بأنفها .. كأنها لا تقيم وزنا لما يحدث حولها .

أسند القديس يده الى الأرض .. والتقط حصاة صغيرة .. وصوبها الى سونيا .. وقذف بها .

وقد أصابت الحصاة ساعد سونيا .. ولكن الفتاة لم تنظر حولها على الفور .. حتى لا تلفت اليها الأنظار .

ولم يسع القديس الا ان يبتسم .. والآن يقرر مرة اخرى ان هذه الفتاة المرتهنة هى من اذكى الفتيات اللواتى

قابلهن فى حياته .. وان الطبيعة هيأتها للمغامرات اكثر مما هيأتها لتكون ابنة بليونير .

نعم .. لم تذهب دقة الموقف بلبها .. ولم تمنعها من ملاحظة اقل الظواهر وردها الى اصولها ..

وقد شعرت بالحصاة ترتطم بساعدها .. فلم تظهر على وجهها علامات الدهشة او الفرح .. وادركت على الفور ان الذى قذفها بهذه الحصاة لابد ان يكون احد الرجلين الذين وضعت مصيرها بين أيديهما .. وفهمت ان هذا الرجل على مقربة منها . وان اية حركة فجائية من جانبها ربما تؤدى الى الافتضاح .. فكتمت شعورها .

على انها ما لبثت أن حولت بصرها بشكل بساطة الى الناحية التى جاءت منها الحصاة .. وعندئذ رفع القديس رأسه بين الصخور .. فرأته الفتاة . وخيل اليه انها ابتسمت .

وتحرك القوم مرة اخرى .. وعادوا جميعا الى الشاطىء . وهناك نقلت سونيا الى قارب صغير كان راسيا بالقرب من الزورق البخارى .. ورافقتها كل من هرمان والرجال الثلاثة الذين جاءوا بالزورق البخارى .

ثم اعمل الرجال المجاذيف فى جانبى القارب فراح يشق الماء نحو الباخرة .

خرج القديس من مخبئه .. ورأى كل ذلك .. وسأل نفسه .. ترى لماذا ترك الزورق البخارى بالقرب من الشاطىء ؟!

وعرف الجواب فى الحال .

لابد ان الزورق ترك هناك ليستخدمه ماريوس او الارشيدوق او الاثنان معا فى الانتقال الى الباخرة .

واذن فماريوس والارشيدوق لم يسبقاه الى الباخرة !!

وحرك القديس يديه بارتياح .
شعر بأن ساعة العمل قد حانت .. وبأن نقل سونيا الى الباخرة معناه ان المعركة قد بدأت .
أخذ يثب فوق الصخور وينحدر نحو الشاطيء بسرعة .. ولكنه ما لبث ان رأى ضوء المصباح يقترب . فأدرك ان الرجال الثلاثة (أعضاء هيئة الأمم) عائدون ادراجهم الى المنزل .
ابتعد عن الطريق وكمن بين الصخور .. وادهشه ان يمر به رجلان فقط .
تساءل : واين الثالث ؟
ولكن الوقت لم يكن يتسع للتفكير .. فتريث حتى ابتعد الرجلان ثم استأنف زحفه نحو الشاطيء .. وهناك رأى الرجل الثالث جالسا بالقرب من الزورق البخاري .
واستمر القديس يتقدم بسرعة . وسمع الرجل وقع خطواته بين الصخور وهتف بالايطالية :
— من هذا ؟
ورأى القديس ان الوقت مناسب للعمل .. فقد ابتعد القارب من ناحية . وابتعد الاسباني والالماني من ناحية اخرى .. فاذا اتفق وتمكن الايطالي من الصياح .. فان احدا لن يسمع صيحته .
وبعد .. فقد كان القديس مصمما على الا يترك له فرصة للصياح .
هتف الايطالي مرة اخرى :
— من هذا ؟
فأجابه بالايطالية كذلك :
— أنا الرجل الذي يريد انتزاع روحك .
ففتح الرجل فمه ليقول شيئا .. ولكن القديس وثب عليه

.. وعاجله بلكمة القته على الشاطيء فاقد الرشد .
غمغم القديس :
— ها نحن قد تخلصنا من مندوب ايطاليا في العصبة .
وحمل الرجل على كتفه .. ووثب به الى الزورق البخاري .

* * *

وضع خطته بسرعة .. وشرع في تنفيذها .
اجلس الايطالي الفاقد الرشد أمام عجلة قيادة الزورق .. ثم بحث في الزورق حتى عثر على قطعة من الحبل فقطعها بخنجره الى جزئين ربط احدهما في الجانب الايمن من عجلة القيادة وربط الاخرى في الجانب الايسر منها .
ثم عمد الى ثيابه فانتزعها كلها .
كان يعلم ان جسده لابد ان يبتل .. ولكنه اشفق على ثيابه الانيقة من البلل . ثم انه لم يكن يريد ان يقابل خصومه في الثوب الذي ولدته فيه امه فحزم ثيابه جميعا في قميصه .. ثم وضع الحزمة فوق رأسه .. وشدها الى رأسه بقطعة حبل حزمها تحت ذقنه .
وادار محرك الزورق بغير عناء ولما بدأ الزورق يتحرك في الماء أمسك القديس بطرف الحبلين اللذين شدهما الى عجلة القيادة .. ثم القى بنفسه في الماء فاجتذبه الزورق وراءه .. وراح يشق طريقه نحو الباخرة .

* * *

واستمر الزورق في طريقه .. والقديس يوجهه بواسطة الحبلين اللذين ربطهما بعجلة القيادة .
كانت عملية شاقة متعبة .. اعتمد فيها القديس على

قوة يديه اللتين امسك بهما قطعتى الحبل ..

ولكن الحبل كان خشنا .. وكان الزورق يترك وراءه خيطا زاخرا من الزبد .. وقد شعر القديس مرارا بالماء يكاد يخنقه .. ويحبس أنفاسه ..

ووجد القديس لزاما عليه ان يسير بالزورق في خطوط متعرجة ليتسنى له دائما ان يرى الباخرة . وقد ضاعف ذلك من عنائه ومتاعبه .

وفجأة سمع القديس صياحا من ناحية الشاطىء .. فادرك ان صوت محرك الزورق لابد قد نبه الألمانى والاسبانى اللذين بقيا على الشاطىء ..

سمع الصياح ولكن ضجيج المحرك وهدير الماء كانا يملأن اذنيه .. فلم يتبين معنى هذا الصياح .

واخذ الزورق يقترب من الباخرة بسرعة .. فشرع القديس يستعد للخطوة التالية ..

وبغتة .. دوى صوت طلق نارى من ناحية الباخرة ... فابتسم القديس .

كان يتوقع هذا .. ولذلك اجلس المندوب الايطالى امام عجلة قيادة الزورق .

ووصل الزورق الى حيث توجد الباخرة .. وبدا يمر بها ..

ورأى القديس السلسلة الحديدية التى يتدلى منها المرسى .. وادرك ان ساعة العمل الحاسم قد ازفت .. فترك الحبلين .. وقذف بنفسه نحو السلسلة .. وأمسك بها .. ثم تريث ليلتقط انفاسه .. وليرقب ما سوف يحدث

رأى الزورق البخارى يمر بالباخرة ويهيم بين الأمواج ..

ثم سمع طلقتين ناريتين صادرتين من سطح الباخرة ..

وشعر في الحال بان امامه فرصة لا يمكن ان تتكرر ..

لان جميع الانظار كانت وقتئذ متجهة نحو الزورق البخارى .. فاذا هو صعد الى الباخرة .. فان احدا لن يشعر به .

امسك السلسلة الحديدية بيديه .. واخذ يتسلقها بسرعة حتى بلغ الى حافة الباخرة .

وفي هذه اللحظة دوى طلق نارى آخر .. فنظر القديس نحو البحر .. ورأى المندوب الايطالى واقفا في الزورق وهو يصيح ويلوح بيديه ..

استمر الرجل يصيح مستغيثا . ولكن ضجيج المحرك والأمواج حجب صوته .

ودوت رصاصة أخرى . فرفع الايطالى التعس يديه الى صدره .. ثم لوح بيديه في الفضاء . وسقط في لجج الماء .

الفصل السابع

فاسيلوف

سمعت سونيا ديلمار الطلق النارى الأول وهى تصعد من القارب الى الباخرة بواسطة السلم المصنوع من الحبال الذى ادلى من الباخرة لهذا الغرض .

وكانت قبل ذلك قد سمعت دوى محرك الزورق . ورأت الشيخ الجالس امام عجلة القيادة . ولم يداخلها شك في ان قائد الزورق هو القديس بعينه .

ولكنها دهشت . اذ خيل اليها عندما رأت القديس على الشاطىء انه لا ينوى ان يبدأ العمل في الحال . والا لانتهز تلك الفرصة . وهاجم الرجال الذين يحيطون بها . وقام بأية محاولة لانقاذها قبل ان تنقل الى الباخرة .

فكيف اذن اضاع تلك الفرصة . ثم جاء الان لانقاذها في زورق يسمع دوى محركاته علي بعد عدة اميال ؟

قلبت هذا السؤال في ذهنها . ولكنها لم تحاول البحث عن الجواب ..

كانت في شغل بملاحظة كل صغيرة وكبيرة حولها . واسترعى نظرها النظام البديع الذي تشهده . كان كل واحد من رجال ماريوس يؤدى عمله في جو من الهدوء والنظام يختلف كثيرا عن كل ما قرأته في القصص والصحف عن رجال العصابات .

سمعت دوي الرصاص مرة اخرى فارسلت بصرها نحو البحر . ولكنها لم تتمكن من رؤية الزورق .

وعندئذ فتح احد البحارة باب غرفة . وادخلها . واغلق الباب بالمفتاح .

* * *

وقفت وحيدة في الغرفة حائرة مترددة ثم رأت النافذة الصغيرة التى بالغرفة . وامتلأت اذناها بدوى محرك الزورق . فاسرعت الى النافذة واطلت منها .

وفي هذه اللحظة دوى الطلق النارى الاخير .. فرأت شخصا يترنح في الزورق ثم يسقط في الماء ..

جلست على مقعد قريب . واغمضت عينيها .

لم تشعر بشيء من الانفعال .

لم تشعر بالحزن .. او الذعر .. او اليأس .

سوف يتسع الوقت لأمثال هذه المشاعر .. اما في تلك اللحظة .. فانها لم تشعر بشيء على الاطلاق .

كانت تشعر فقط بانها تعيش في جو من الخيال . بعيد عن الحقيقة .

لم تصدق انها وحيدة في تلك الباخرة .. ينتظرها مصير مجهول . وان الرجل الوحيد الذى يتعلق به املها في النجاة قد ابتلعته امواج البحر ..

لم تتحرك .. ولم تفكر في شيء .. الى ان ابتعد صوت محرك الزورق وتلاشى .. وساد حولها سكون تام ..

عندئذ فقط فتحت عينيها .. واجالت الطرف حولها .

وجدت نفسها في غرفة فسيحة .. ذات اثاث فاخر .. ورأت حولها مقاعد ومائدة صغيرة .. وطاولة الكتابة قد تبعثرت فوقها الأوراق .. ودولابا صغيرا مليئا بالكتب .

ورأت في نهاية القاعة ستارا ترجح لديها أنه يخفى وراءه فراشا .. ولكنها لم تكلف نفسها عناء الانتقال من مكانها للتحقق من ذلك .

ثم شعرت فجأة بأن الباخرة تتحرك .. ولاح لها الشاطيء .. ورأت على الشاطيء ضوءا يتألق ويتلاشى .. ويتألق مرة اخرى .. ويتحرك الى اليمين والى اليسار ثم يتلاشى ...

فادركت أن تلك شارة متفق عليها بين ربان الباخرة وشخص على الشاطيء .. ولكنها لم تفهم معنى هذه الشارة .

* * *

فاغمضت عينيها مرة اخرى .. وشعرت برغبة شديدة في أن تبكى .. او أن تصرخ في ذعر وفزع .. ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك .

كانت مذهولة .. خائرة القوى .. ولم تفق من ذهولها وانهيارها الا عندما فتح باب غرفتها بعد فترة من الوقت .

نظرت الى الباب لترى من القادم .. فرأت رجلا طويل القامة .. حسن الهندام يرتدى ثوبا ابيض مزركشا بالذهب .

قال الرجل في أدب :

ــ طاب مساؤك يا آنسه ديلمار .

تصعدته الفتاة بعينيها ثم سألته :

ــ هل انت قبطان هذه الباخرة ؟

فطرق برأسه علامة الايجاب وقال :

ــ ولكني لا استطيع لي فيما اصابك او يصيبك .. المسئول هو السيد الذي أعمل في خدمته .

ــ ومن هو هذا السيد ؟

ــ ليس مسموحا لي ان اذكر لك اسمه .

❋ ❋ ❋

وكان الرجل يتكلم بالانجليزية السليمة .. وبلهجة تدل على انه امريكي .

قالت سونيا :

ــ ولكن ذلك لا يخليك من المسئولية أمام الحكومة الامريكية !

ــ لا اظن ذلك يا آنسة .

ــ وستكون مسئولا كذلك امام الحكومة الانجليزية عن جريمة الاختطاف .

هز كتفيه واجاب :

ــ انني لم اختطفك يا آنسة .. وبعد فان الحكومة الانجليزية لن تعلم من الأمر شيئا .

تصمتت الفتاة لحظة ثم سألت :

ــ وما غرضكم من اختطافي ؟ هل تطمعون في الحصول على فدية من ابي ؟

ــ الا تعلمين الغرض من اختطافك ؟

ــ كلا .

ــ انني جئت خصيصا لاتحقق من ذلك .. فاصغي الي .

وجلس امام طاولة الكتابة .. واشعل لفافة تبغ .. قال في هدوء :

ــ لقد جيء بك الى هنا .. لنعقد قرانك على مسيو فاسيلوف . وسيتم هذا الزواج سواء رضيت او ترضي . ولدينا اكثر من شاهد واحد سوف يشهدون على صحة هذا الزواج . ويقررون عند الضرورة ان الزواج برضاك .

لقد قيل لي انه من الضروري ان تقترني بمسيو فاسيلوف . ولكني لا اعلم لماذا .

❋ ❋ ❋

لم تدهش سونيا لهذا النبأ .. فانه كان يتفق مع مجموعة الاستنتاجات التي تفتق عنها ذهن القديس .

كل ما هنالك ان شعورها بزيف موقفها وبعده عن الحقائق الملموسة تضاعف .. حتى خيل اليها انها حلم لا في يقظة .

سألت اخيرا :

ــ ومن هو فاسيلوف هذا ؟

ــ لا اعلم .. انني لم اتحدث اليه .. ولم اره غير مرة واحدة حين جاء الى هذه الباخرة امس .

وقد لزم غرفته منذ جاء .. فلم اره بعد ذلك .

ــ الا تستطيع ان تصفه لي ؟

فهز القبطان كتفيه وقال :

ــ كل ما اتذكره عنه انه طويل القامة .. يضع على عينيه عوينات سوداء ، وله شارب قصير .

ــ والى اين تذهبون بي ؟

— الى لننجراد .
— ثم ؟
— لا اعلم .. ذلك يتوقف فى الغالب على مسيو فاسيلوف .. اما انا فمهمتى تنتهى فى لننجراد .

ولاحظت سونيا ان الرجل يتكلم ببساطة وقلة اكتراث .. كما لو كانت كل مهمته ان ينقل شحنة من البضائع الى احدى الموانىء .

سألته :

— الا تشعر بشىء من الفضول الى معرفة حقيقة مهمتك ؟
— ان الاجر الذى قبضته قد ابرانى من مرض الفضول .
— انك تقوم بعمل يعاقب عليه القانون .. بل تعاقب عليه جميع القوانين .
— ان الرجل الذى استخدمنى كفيل بحمايتى . وهو رجل قوى واسع الغنى والنفوذ .

فاطرقت براسها . ثم سألت :

— ولكن هل تعلم من انا ؟
— لم يحدثنى احد عنك .. ولم يدفعنى الفضول الى الاستفسار .
— ان ابى من اغنى الناس فى انجلترا .. وفى استطاعتك ان تفيد منه اكثر مما تفيد من الرجل الذى تعمل الان فى خدمته .

فاجاب وهو يبتسم :

— اننى ممن يؤمنون بصدق المثل القائل « عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة » .

ثم نهض واقفا واستطرد :

— هل اقول لمسيو فاسيلوف انك على استعداد لاستقباله .

فلم تجبه .. وانحنى الرجل هامته بمزيج من الاحترام والتهكم . وانصرف .

* * *

وبقيت سونيا فى مكانها لا تبدى حراكا ..

كانت كل مشاعرها ترفض ان تصدق شيئا مما يدور حولها . ولذلك تحجرت حواسها عن كل شعور آخر .. غير الشعور بانها فى حلم ..

ابت ان تصدق انها مشدودة اليدين والقدمين . فى باخرة فى عرض البحر .. ولا امل لها فى النجاة .. وانها توشك ان تتزوج من رجل سمعت اسمه للمرة الاولى منذ دقائق .. ولم تره قط فى حياتها ..

ابت ان تصدق شيئا من ذلك .. فامثال هذه المواقف لا وجود لها الا فى القصص الخيالية .. او على الشاشة البيضاء .. وقد سبق لها ان قرات وشهدت روايات من هذا النوع .. ولكنها لم تصدق قط ان خيالات المؤلفين يمكن ان تتحقق على مسرح الحياة .

* * *

وفتح الباب مرة اخرى .. فرفعت سونيا عينيها .. ورأت القادم .

كانت تنطبق عليه جميع الأوصاف التى ذكرها القبطان .. فهو طويل القامة .. قصير الشاربين واللحية .. يضع على عينيه عوينات سوداء ويرتدى معطفا طويلا سميكا يغطى نصف لحيته الى اخمص قدميه .

قال لها الشاب كأنه يعرفها منذ سنوات :

— طاب مساؤك يا سونيا .

فاجابته بهدوء واختصـــار :

ـ انت فاسيلوف على ما اظن .

ـ نعم . اسمى الكسيس فاسيلوف .

فقالت :

ـ كان لى فيما مضى كلب يدعى الكسيس . انه اظرف اسم يمكن اطلاقه على .. على كلب .

فقهقه الشاب ضاحكا وقال :

ـ سيكون لك بعد دقائق زوج بهذا الاسم .

وجلس على مقعد بالقرب منها . وعقد اصابعه حـــول ركبته . وقال وهو يتأملها :

ـ انت جميلة .. وذلك مما يدعو الى السرور . لقـد قالوا لى منذ البداية انك جميلة .

كان صوته ناعما . حـــاد النبرات . فشعرت الفتـــاة بالاشمئزاز .

سألته فى هدوء :

ـ ومن ذا الذى قال لك ذلك ؟

ـ آه .. هل يهمك ان تعرفى ؟

ـ هـــذا طبيعى .

ـ قال لى ذلك احد اصدقائى : ثم استطرد وهو يهز راســه :

ـ لا شك ان السير جون ليسنج سيأسف على انه فقدك .

وحملق فى وجهها طويلا ثم اردف :

ـ هل تحبينه يا سونيا .. هل تحبين ليسنج .

ـ هل يهمك ان تعـلم ذلك .

ـ يهمنى بطبيعة الحال ان اعرف شعور زوجتى .

ـ ان السير جون ليسنج رجل شريف ، ويحســبه من

دلائل الشرف انه حصل على موافقتى قبل ان يعد العـدة للاقتران بى .

فهتف فاسيلوف :

ـ آه .. اتعتقدين بان السير ليسنج رجل شريف ؟ انه احط مخلوق فى الوجود .. وانا امقتــه .. ولم اوافق على الاقتران بك . الا لانتقم منه ..

فهزت سونيا كتفيها بقلة اكتراث . واثارت هذه الحركة حنق فاسيلوف .. فصاح وهو ممتقع الوجـــه .. مرتجف الشفتين من فرط الانفعال :

ـ انك باردة كالثلج .. على انى سأذيبك .. ولكن يجب قبل ذلك ان اسرد عليك قصة تهمك . فاسمعى الى .

واعتدل فى مكانه .. وقال وهو يلقى بيده على كتفها :

ـ اصغى الى .. حدث فى لندن منذ بضـــعة اعوام ان شابا فقيرا ذهب الى احد الاغنيـــاء لكى يلتمس منه عمـــلا يعيش منـــه .

كان هذا الشاب يتضور جوعا .. وكان لابد له ان يجد عملا بأســرع ما يمكن ..

ولمــا لم يجد ذلك الغنى فى مكتبه .. ذهب لمقابـــلته فى بيته .. غـــير ان الغنى لم يكد يسمع اول عبارة تنطق بها الشاب الفقير .. حتى ارغى وازبد .. واهوى بيده على وجه الشاب . ثم امر الخدم بان يلقوا به الى الشارع .

حنق الغنى لان الشاب ذهب اليه فى بيتـــه .. ولم يخطر بخلده قط ان ذلك الفقير التعس لم يفعـل ذلك . الا بدافع الجوع والحاجة الملحـــة .

كنت انا ذلك الشـــاب .. اما الرجل الغنى فهو الســير ليســنج .

وصمت فاسيلوف . فقالت سونيا بلطف :

— يخيل الى ان ذلك افضل ما فعله السير ليسنج طـول حيـاته .

فتجاهل الشاب سخريتها واستطرد :

— وقد انقضت السنون .. وعـدت الى وطنى .. ثم اندلعت السنة الثورة فى روسيا .. فساهمت مع الثائرين .. واشتركت فى الفتك بكثيرين من الأغنياء امثال ليسـنج .. ورفعتنى الثورة الى مركز يحسدنى عليه الكثيرون .. ولكنى لم انس قط الصفعة التى نالتنى من ليسنج ..

وصمت الفتى ليلتقط انفاسه . ثم اردف :

— جمع ليسنج ثروته الطائلة من احتكار البترول فى بلاد البلقان . اما انا فوظيفتى فى روسيا الحديثة هى الاشراف على استثمار آبار البترول فى (اوكرانيا) .

وليسنج لا يعرفنى الان .. ولا يتذكرنى . ولكنه يريد ان يضربنى فى عملى .. كما سبق ان ضربنى على وجهى .

انه يريد افساد عملى بمضاربته فى اسـعار البترول .. وغرضـه من ذلك ان تشعر روسيا بعجزها عن اسـتثمار آبارها .. فتمنحه امتياز اسـتغلال هذه الآبار .

وقد حاولت مقاومته . ولكنى عجزت عن ذلك .

واخيرا ارسلت الى الاقدار صديقا ارشدنى الى افضـل خطة للقضاء على ليسنج كرجل .. وكدكتاتور مالى .. وقد قرر صديقى هذا ان يختطفك .. ويقدمك الى على سـبيل الهدية . فرحبت بهذه الهدية نكاية فى ليسنج وانتقاما منه .

ثم وضع صديقى خطة اخرى لاغراء ليسنج باثارة حرب فى البلقان وشرق اوروبا .. وسـوف يثير ليسنج هذه الحرب وهو واثق بان كل دول اوروبا تعضده وتشد ازره .. ولكنه سوف يشعر بخيبة الامل عندما تطلق اول رصاصة فى الحرب .. سوف يجد ان الدول الاوروبية التى يعتمد عليها قد تخلت

عنه . وراحت تقتتل فيما بينها ، وان روسـيا لن تبطىء فى انتهاز هذه الفرصة لابتلاع البلقان .

كل ذلك قد دبره صديقى احسن التدبير .

ان صديقى هذا رجل عظيم ، انه اعظم من ليسنج .. بل اعظم واغنى من اى انسان آخر فى العـالم .

انه الدكتور رايت ماريوس . فهل تعرفينه ؟

— اننى قرات عنه .

— ما دمت قد قرات عنه .. فانت تعرفين مـدى نفوذه وسلطانه وقوته .. ان وراءه جماعة من الراسماليين اقوى الف مرة من الجماعة التى يعتمد عليها ليسنج .

وقد اوضح لى ماريوس خطته .. وهى خطـة محبوكة الاطراف لا سبيل الى فشـلها .

وستنتهى هذه الخطة وتبدا الحرب المنتظرة باغتيـال حياة عظيم من عظماء اوروبا .. لم يذكر لى ماريوس اسمه ... ولكنى ارجح انه رئيس الجمهورية الفرنسية .

اننى ابوح لك بهذه الاسرار .. وانا آمن مطمئن .. لانك حين تطاين الارض بقدميك بعد الان .. تكون هذه الاسرار قد اصبحت ملكا للجميع .

اصغت اليه سونيا بانتباه .. ولم تفتها كلمة واحدة .

كان كلام هذا المعتوه مصداقا لمـا تصوره القديس .. فتجسمت المؤامرة امام عينيها بحجمها الطبيعى .. وراتهـا على ضوء الادلة والحقائق شيئا رائعا مخيفا ملموسا .

رات بعين الخيال نيران الحرب تكتسح اوروبا .. وخيل اليها انها تسمع دوى الرصاص وقصف المدافع .. وازيـز الطائرات .

تكلم فاسيلوف بعد ذلك .. ولكن الفتاة لم تصغ اليه .. ولم تعر كلامه انتباها .

عادت بها الذاكرة الى الحديث الذى دار بينها وبين القديس حين قررت الاشتراك فى هذه المغامرة .. وتذكرت قوله « اذا فشلنا .. كنا كمن يضع السلاح بين يدى ماريوس » .

وقد فشل القديس .. ومات .. وحملت الامواج جثته .. فما العمل الآن ؟

حقا ان روجر كوبواى لا يزال حيا .. ولكن اين هو ؟ وماذا يفعل الآن ؟ وماذا أصابه ؟

انها لم تره منذ اختطفها اعوان ماريوس .

* * *

كانت تفكر فى كل ذلك . وقد نسيت فاسيلوف او تناسته .. الى ان احست بأصابعه توضع على ساعدها .. فمرت بجسدها رعدة شديدة وعادت الى عالم الحقيقة .

قال لها :

ـ مالى اراك صامتة مفكرة ؟ وهل من حقك ان تأسفى على نجاتك من وغد زنيم كالسير ليستج ؟ اننى سوف اصبح كل شىء فى عالم البترول اما هو فلن يكون شيئا مذكورا .

فصفعته بنظرة احتقار وقالت له بخشونة :

ـ لا تدنس ساعدى بأصابعك .

ـ ارى انك مازلت باردة .. كالثلج .

واحاط خصرها بساعده واجتذبها نحوه حتى احست بأنفاسه الملتهبة تلفح وجهها .

ركلته بقدمها . ولكنه لم يحفل بها .. بل حملها بين ذراعيه كما يحمل طفلا . والقى بها على مقعد آخر كبير .

صرخت :

ـ دعنى ايها الكلب القذر .

ـ قلت لك اننى سأدللك .. واعلمك كيف تضمدننى الى صدرك الدافىء .. و ..

فراحت تضربه بقدميها .. ورأسها ، وهو يضحك ساخرا .

واحست بشفتيه تلتصقان بعنقها . فارتعد بدنها .

ثم امتدت يده الى ثوبها .

وفى هذه اللحظة قال قائل :

ـ هل انت على استعداد يا فاسيلوف ؟

نظر فاسيلوف خلفه . ورأى القبطان واقفا بالباب .. ترك الفتاة .. واعتدل واقفا على قدميه . واجاب بصوت اجش :

ـ نعم ، اننى على استعداد .

ثم التفت الى سونيا وقال :

ـ سأذهب الى غرفتى لاستعد لحفلة الزواج .. نعم .. يجب ان يبرم عقد زواجنا اولا حتى لا يزعجنا أحد .

* * *

وانصرف فاسيلوف .. وجلس القبطان امام طاولة الكتابة بهدوء وبحث فى ادراج الطاولة حتى عثر بدفتر كبير فوضعه امامه .. ثم تناول لفافة تبغ واشعلها .. واعتدل فى مقعده .. دون ان يلقى على الفتاة نظرة واحدة .

وانتظرت سونيا فى صمت وسكون ..

كانت ترجو ان يقول لها القبطان كلمة واحدة .. فتجعل من هذه الكلمة نواة لحديث ربما انتهى باجتذابه الى صفها ..

واغرائه على مساعدتها .. والاخذ بيدها .

غير ان الرجل وضع ساقا على ساق واستمر يدخن فى سكون .. كأنه يعيش فى عالم آخر ..

كان شأن هذا الرجل وهو يدخن فى هدوء .. كشأنها هى .. حين كان فمها يلتهم الشكولاتة فى هدوء بينما كانت عيناها تقرآن فى احدى الصحف نبأ تنفيذ حكم الاعدام فى احد الناس .

* * *

واخيرا فتح الباب .. ودخل فاسيلوف .

سمدته بعينيها .. وادهشها ان تجده كما كان .. بلحيته وشاربه وعويناته ومعطفه .. ولم تفهم معنى للاستعداد الذى تكلم عنه عندما انصرف .. لانه عاد كما خرج .

ورمقها فاسيلوف بنظرة باردة ثم قال للقبطان بصوت اجش :

ـ دعنا لا نضيع الوقت عبثا .

فقال القبطان وهو ينهض واقفا :

ـ لقد اتفقت مع الشاهدين .. وسأدعوهما .

وقصد الى باب الغرفة .. ونطق باسمين .. ثم عاد .. وفى اثره اثنان من البحارة .

وتناول القبطان القلم .. وكتب فى الدفتر الذى امامه بضعة سطور ثم تحدث الى الرجلين بلغة لم تفهمها الفتاة ..

وقدم القلم الى احدهما فتناوله وسجل اسمه فى الدفتر ..

وفعل البحار الثانى مثل ذلك .

والتفت القبطان الى فاسيلوف وقال له :

ـ وقع باسمك هنا .

وأشار الى مكان فى الدفتر .. فتناول فاسيلوف القلم ووقع باسمه .

وصرف القبطان الشاهدين باشارة من يده .. ثم قال محدثا فاسيلوف :

ـ يجب ان توقع زوجتك باسمها على وثيقة الزواج ... فهل تستطيع حثها على التوقيع ؟

فأجاب فاسيلوف :

ـ لا شك اننى استطيع .. ولكن يجب ان تتركنا الآن بمفردنا ..

فابتسم القبطان فى شىء من التهكم وانصرف .. وقصد فاسيلوف الى الباب فأغلقه .. ثم عاد ادراجه الى طاولة الكتابة فوقف امامها .. واخذ يقرأ ما كتبه القبطان فى الدفتر .

ثم اخرج من جيبه لفافة تبغ واشعلها . وقال محدثا الفتاة بلطف دون ان ينظر اليها :

ـ اذن فقد اصبحنا زوجين يا سونيا .

فتنهدت الفتاة .

كانت ترتجف رغم حرارة الجو .. وقد ارادت بدافع من صلفها الغريزى وكبريائها الا يشعر او يلاحظ بأنها ترتجف .

انه وصفها بانها باردة كالثلج .. فيجب ان يجدها كذلك دائما .

قالت بسرعة .. لكيلا يلاحظ اضطرابها :

ـ نعم .. اصبحنا زوجين .. ذلك قد يهمك .. ولكن لن يهمنى .. ولا يعنينى فى شىء .. لاننى لن اكون لك وفى جسدى عرق ينبض ..

فحل ازرار معطفه .. وخلع المعطف .. والقى به على احد المقاعد .

قال دون ان ينظر اليها :

— هل افهم من ذلك انك تحبين شخصا آخر ؟ !
فأجابت بصوت خافت : لا شك فى ذلك !!
— آه .. اذن فخطوبتك للسير ليستنج لا تقوم فقط على اساس المعاملات المالية والعملية التى بينه وبين ابيك .. بل تقوم كذلك على الحب ؟
— اننى لا اعير السير ليستنج شيئا من اهتمامى ..
— اذن فانت تحبين شخصا آخر ؟!
— وهل يهمك ذلك ؟ ؟
— ما اسم الشخص الذى تحبينه ؟
فلم تجبه .
فســأل :
— هل يدعى روجر كونواى ..
وهنا شعرت الفتاة بالخوف يقبض على قلبها باصابع من فولاذ ..
همست بصــوت مرتجف :
— ماذا تعلم عنه ؟
— اننى اعلم عنه كل شىء ايتها العزيزة ..
وتحول اليها .. بلا لحية .. ولا شاربه .. ولا معطف .. ولا عوينات .. وعلى شفتيه تلك الابتسامة المرحة الطروب الخالدة ..
صــاحت :
— تمبلار .

الفصــل الثامن
العــودة

— تمبــلار !!
هتفت سونيا بهذا الاسم .. وشعرت لاول مرة منذ بضع ساعات انها فى يقظة لا فى حلم ..

وأجابها القديس وهو يجتاز الغرفة فى خطوتين واسعتين :
— نعم ايتها العزيزة .. فكيف انت ؟
— يا الهى .. القديس .
فضحك وقال :
— يخيل الى انك لم تكونى فى انتظارى .
— ولكنهم اطلقوا الرصاص عليك وقتلوك ؟
— قتلونى ؟ اننى استمتع بحصانة طبيعية ضد الرصاص .
فضــحكت بدورها .. وقالت بصــوت يرتجف من فرط الانفعــال :
— حل وثاقى يا تمبلار .
— عفوا .. لقــد نسيت .
واقبل عليها يحل وثاقها .. قال :
— هل باح لك فاسيلوف بشىء ؟
— انه قال لى كل ما عنده .
— يا لك من فتاة عجيبة يا سونيا .. ان الدور الباســل الذى قمت به فى هذه المغامرة يحجب دورى .. ويخيل الى انك ان مضيت فى ابطال هذه المغامرة فاننى سأضطر آخــر الامر ان افسح لك الميدان واشتغل بنظم القصــائد وقرض الشــعر .
فضحكت مرة اخرى .. وكانت ضحكتها فى هذه المــرة صافية كرنين الاجراس الفضية .
سألته : ولكن كيف استطعت الوصول الى الباخرة ؟
— اننى وصــلت بلا مشــقة .. فذلك الذى قتلوه رميا بالرصاص فى الزورق هو احد رجالهم .. اما انا فقد تسللت بمؤخرة الزورق ثم صعدت على سلاســل المرسى .. حتى وصلت الى ســطح السفينة .
ولما كنت عارى الجسم فقد كان اول همى ان اتوارى فى

مكان ارتدى فيه ثيابى .. فدخلت أول غرفة خالية صادفتنى .. ولكنى ما كدت افرغ من ارتداء ثيابى .. حتى فتح الباب .. ودخل فاسيلوف .

لم اكن اعرفه طبعا .. ولم يكن يعرفنى .. فقام بيننا نزاع حول ملكية الغرفة .. وانتهى الأمر بان صرعته . وشددت وثاقه .. ثم هددته بخنجرى حتى حصلت منه على المعلومات الضرورية .

ولحسن الحظ اننى اضع فى جيوبى دائما ادوات التنكر .. فتنكرت بلحية مستعارة كلحيته .. واستعرت ثيابه ومعطفه .

فما قولك فى ذلك يا زوجتى العزيزة ؟

وضحكا .

وسردت عليه سونيا بعد ذلك كل ما اتفق لها .. فاصغى اليها .. واصغى بانتباه .. ورأى فيما سمعته الفتاة من فاسيلوف اللحم والدم للمؤامرة التى استنتج هو هيكلها العظمى .

ولما فرغت سونيا من قصتها .. اخذ القديس يسير فى الغرفة جيئة وذهابا .. وهو يفكر .

واخيرا سالته الفتاة :

— واين روجر ؟

فأجاب :

— اننى بعثت به الى لندن لاحضار السير جون ليسنج .. فكرت فى ذلك عقب وصولنا .. فقد خطر لى ان انقاذك من ماريوس لا يكفى .. ولا يقعده عن القيام بمحاولة اخرى لاختطافك .. او اجتذاب السير ليسنج الى الفخ بأية حيلة او وسيلة أخرى .. ولما كان من المهم أن تهدم مؤامرته من اساسها .. فقد رايت ان استقدم السير ليسنج ليبصر

بعينيه كل شىء .. ويرى المؤامرة التى تحاك حوله .

— ومتى رحل روجر ؟

— قبل خروجك من المنزل بدقائق .. ولكن بهذه المناسبة .. أين هرمان ؟ ذلك الرجل البدين المقيت الذى رافقك من المنزل الى الشاطىء فالباخرة ؟

— انه عاد بالقارب الى الشاطىء .

— هذا حسن .. واذن لم يبق امامنا سوى القبطان ومساعده . ورجاله فاذا نحن استولينا على الباخرة وعدنا بها الى (سوثهامبتون) امكننا ان ..

فهتفت الفتاة فى دهشة :

— اذا نحن استولينا على الباخرة ؟

وحملقت فى وجهه بعينين واسعتين قد ارتسمت فيهما كل معالم الدهشة فضحك وقال :

— لا اظن ان هناك اية صعوبة .. ومهما يكن من امر فاننى ساحاول اولا ان اقنع القبطان بالحسنى بضرورة العودة الى الشاطىء .

— لا اظن انه سيقتنع .

— انا واثق من ذلك . ولهذا لن احاول اقناعه شفويا .

— والبحارة ؟

— انهم الآن نيام .. وليس هناك سوى عامل السكان (الدفة) ومساعد القبطان .

— ولكن اذا حدث واستيقظ البحارة ؟

فاجاب وهو يبتسم :

— فى هذه الحالة لن نعدم وسيلة للتقهقر بانتظام .

فاطرقت الفتاة براسها لحظة ثم قالت :

— هب اننا نجحنا . فماذا نفعل فى (سوثهامبتون) ؟

— انني لم اضع خطتي بعد . ومن الاوثق مع رجل مثل
ماريوس الا يضع الانسان اية خطة على الاطلاق .
انما المهم الآن على كل حال ان نعود الى (سولتهام)
باسرع ما يمكن قبل ان يقدم (روجر) على عمل جنونى .
يوقعه في قبضة ماريوس .
— ولكن ماريوس ليس في « سولتهام » .
— بل انه وصل اليها منذ ربع ساعة ايتها المزورة .
فازدادت دهشة سونيا ولم تتمالك من ان تسأله :
— وكيف علمت ذلك ؟
— انني سمعت صوت محرك طائرة . ورأيت من نافذة
غرفة ناسيلوف ان انوارا ساطعة قد اضيئت حول المنزل
على الشاطىء .. فتبينت انها طائرته .. ولا شك انك لم
تسمعي صوت المحرك لانك كنت وقتئذ في شغل بمغازلة
ناسيلوف .
وضحك ..

* * *

تسلل القديس من الغرفة وتبعته سونيا عن كثب ..
كانت الفتاة تعلم انه منطلق في مغامرة جنونية .. هي
الاستيلاء على الباخرة .. وانتزاعها من ايدى ثلاثين بحارا
على الاقل .. ولكنها مع ذلك لم تشعر بشيء من الخوف .
كانت على استعداد لان تذهب الى الجحيم وهي آمنة
مطمئنة .. ما دام الى جانبها القديس ذلك المخلوق العجيب
الذى طالما ارتابت في كل ما ينسب اليه من الاعمال .. الى
ان لمست معجزاته بيدها .
همس القديس في اذنها :
— حذار ان تحدثى صوتا .. هو ذا القبطان يتأمل منظر

البحر في ضوء القمر .
وسار على اطراف قدميه .. ولم يشعر به القبطان الا
عندما احس بيده فوق كتفه ..
وقف القبطان مذهولا لحظة .. وكانت هذه اللحظة كافية
.. فقد اطبق القديس على عنقه باصابع من فولاذ .. وما هي
الا ثانية واحدة . حتى كان القبطان ينحدر من حافة الباخرة
ويهوى الى الماء ..
وقد احدث سقوطه ضجة .. ولكن هذه الضجة ضاعت
مع صوت تلاطم الامواج .. وهدير محرك الباخرة ..
ثم ساد السكون .
وقد شهدت سونيا هذه المعركة السريعة وهي كامنة في
احد الاركان .. ورأت القبطان وهو يهوى .. فلم تتمالك من
الارتجاف .
وفي هذه اللحظة خرج رجل من غرفة السكان (الدفة)
.. واجال النظر حول سطح الباخرة في شيء من الارتياب .
ورآه القديس .. وعرف من ثيابه المزركشة انه مساعد
القبطان ..
قال له بصوت مرتفع :
— انظر ..
وانحنى على حافة الباخرة .. كأنه يتأمل شيئا في الماء
.. فاسرع اليه مساعد القبطان ..
قال له القديس مرة اخرى دون ان يتحول اليه :
— انظر !!
فاقترب مساعد القبطان .. وأطل ..
ولكن القديس تراجع الى الوراء بأسرع ما يمكن ..
ولطم الرجل على مؤخر رأسه لطمة قوية .. جعلت جبهته
ترتطم على حاجز الباخرة ..

وسقط الرجل على سطح الباخرة وهو فاقد الرشد ..
فهمس القديس كأنه يحصى ضحاياه ..

— اثنـــان ..

واسرع الى حيث كانت سونيا . وقال لها بصـــوت خافت :

— لم يبق امامنا سوى عامل السكان (الدفة) ..

وسار بخفة الشبح حتى وصل الى غرفة السكان ...
اما سونيا ، فانها بقيت حيث هي ..
راته وهو يدخل الغرفة .. فحبست انفاسها ..
كانت تخشى ان يخونه الحظ الذى حالفه حتى تلك اللحظة .

انتظرت بفارغ الصبر .. وانقضـــت بضـــع ثوان كانت اشبه باعوام .

واخيرا اطل براســه من باب الغرفة وناداها باســـمها . فاسرعت اليه ..

رات هناك رجلا ممددا على الارض . فاشاحت بوجههـــا .. ولاحظ هو ذلك فقال مؤنبا :

— هل تزعجك مصارع هؤلاء الاشقياء يا سونيا ؟

فاجابت بثبات :

— كلا .. انظر ..

وبســـطت يديها .. فراى اصـــابعها ثابتـــة لا يعتريها ارتجـــاف .

قالت :

— كل ما هنالك اننى لم اتعــود امثال هـــذه المنـــاظر

فابتسم واجاب :

— ســـوف تخرجين من هذه المغامرة وقد رايت كل ما يمكن ان يكتب فى احـــدى قصص الاجـــرام .. والان .. هـــل

تستطيعين ادارة سكان (دفة) الباخرة ريثما اقوم بعمـــل آخـــر ؟

فاجابت بلهجة الواثق وهى تمسك بعجلة الدفة :

— طبعا .. لقد تعودت قيادة يخت ابى .

— ان قيادة الباخرة لا تختلف كثيرا عن قيادة اليخت .. والان .. يجب ان تتجهى بالباخرة نحو الجنوب الغربى .. انما فى رفق حتى لا يستيقظ البحارة من نومهم .

— ولكن ماذا فى نيتك ان تفعل ؟

— يجب قبل كل شىء ان اشـــد وثاق مســـاعد القبطان وعامل السكان قبل أن يفيقا من اغمائهما .

— هب ان احد البحارة استيقظ ودخل هذه الغرفة ؟ الا يكن معك مسدس زائد عن حاجتك ؟

— هو ذا المسدس .. ولكن حذار ان تطلقى الرصاص على خـــطا ..

— كن مطمئنا ..

* * *

وبعد نصف ساعة كان القديس يعمل بنشـــاط وهدوء فى انزال قارب النجاة من سـطح الباخرة الى المـــاء .

وبعد بضع دقائق كان القارب يشـــق عباب الماء نحـــو الشاطىء .

سألت سونيا :

— هل تعلم اين نحن الان ؟

فجال القديس البصر حوله .. ولم ير فى الظلام غـــير الاكام المنخربة والتلال .

اجـــاب :

— الحق اننى لا اعلم .. بيد اننا لسنا بعيدين .. ومهما

يكن من أمر فسوف نكتشف ما يدلنا على مكاننا من سولتهام .

واخذ يرقى الصخور القائمة على الشاطىء .

كانت مهمة شاقة .. وقد اضطر اكثر من مرة أن يتريث حتى تلحق به الفتاة . أو حتى تلتقط انفاسها .

واخيرا لاحظ عليها دلائل التعب .. فقال :

— دعيني أساعدك على السير .

وحملها بين ساعديه .. وراح يثب بها فوق الصخور

سألته نجاة :

— الا تشعر بالقلق على روجر ؟

فتلاشت الابتسامة عن شفتي القديس وأجاب :

— الى حد ما ، ولكنه شاب باسل .. انه من خيرة تلاميذى .

— هل رايه كرايك ؟

— فى الحياه ؟

— نعم ..

— لا اعلم .. انني وجدته تلميذا ذكيا طائعا .. فتقدمت به فى لجة المغامرات ، فبلى احسن بلاء .

— هل تطيب له حياة المغامرات .

— انه يجد فيها مثل المتعة التى اجدها .

— هل تظن أن فى نيته الاستمرار فى مثل هذه الحياة ؟

— لا اعلم ايتها العزيزة .. انني لم اسأله .. ولم نبرم فيما بيننا عقد شركة .. فكل منا حر فى اختيار نوع الحياة التى تروقه .

ولكني واثق على كل حال بانه لا توجد فى العالم اية قوة تمنعه من الاستمرار فى المغامرة التى نحن بصددها حتى نهايتهـا .

انه مثلى .. يتحرق شوقا الى مقابلة ماريوس ؟

— هل فى نيتك أن تقتل ماريوس اذا قابلته ؟

فلمعت عينا القديس وأجاب :

— انني اريد موته .

فصمتت الفتـاة ..

* * *

واستمر القديس يرقى بها الصخور حتى وجد نفسه اخيرا فى طريق ممهد .. فتوقف وهو يلهث وقالت سونيا :

— الان .. استطيع أن اسير على قدمى ...

ووثبت من بين ساعديه واستطردت :

— ولكن فى اى اتجاه نسير ؟

— تلك هى المشكلة .. والراى عندى أن نسير كيفما اتفق .. حتى نقع على احدى اللوحات التى تبين مراحل الطريق .. والمسافة بالكيلومترات .. وبذلك فقط نستطيع أن نعرف موقع هذه البقعة من قرية (سولتهام) .

* * *

وواصلا السير .. حتى نال منهما التعب كل منال .

قالت سونيا :

— ان الظلام دامس .. ومن المتعذر أن نتبين احدى اللوحات الكيلومترية .. ومن يدرى .. ربما كنا الان نسير فى اتجـاه ..

فقاطعها القديس بقوله :

— صـه ..

وأرهف أذنيه .. فحذت الفتاة حذوه .. وما لبثت أن تبينت صوت محرك سيارة .

كانت السيارة تقترب بسرعة .. فقال القديس :
ـ ماذا تهمنا اللوحات الآن . ها هي سيارة مقبلة نحونا . وسأطلب الى صاحبها أن يحملنا معه .. ومن يدري .. فربما كانت سيارة روجر ..

* * *

واقتربت السيارة . ولاح ضوء مصباحيها في الظلام الدامس .. فوقف القديس في عرض الطريق . ووقفت سونيا وراءه . واخذا يلوحان بايديهما لكي يلفتا اليهما نظر سائق السيارة .
وما زالت السيارة تدنو . حتى سقط نورها الساطع على وجه القديس ثم وقفت .
قال القديس محدثا السائق . وهو يظلل عينيه بيده ليدفع عنهما وهج مصباحي السيارة :
ـ هل تستطيع ان تبلغني أين ..
فقاطعه السائق بالالمانية :
ـ نعم ..
ورنت هذه الكلمة في اذن القديس فمد يده الى جيبه بسرعة ليخرج مسدسه .
ولكنه ادرك حقيقة الموقف بعد فوات الوقت . وبعد أن صوب السائق مسدسه نحوهما .
قال السائق :
ـ ارفع يديك يا عزيزي تمبلار . حذار أن تشهري مسدسك يا سونيا ..
قال السائق ذلك بصوت تشعر نبراته بالفوز .
وكانت عينا القديس قد الفتا الضوء .. فنظر الى السائق بامعان .. ثم تنهد وهتف :

ـ يا الهي .. هوذا صديقنا العزيز هرمان . لا شك انه سيصطحبنا معه في سيارته .

الفصل التاسع
المقابلة

اوقف روجر السيارة فجاة وقال بصوت اجش :
ـ لقد وصلنا ..
فنظر زميله الى الباب الحديدي الضخم الذي وقفت السيارة امامه . ولكنه لم يتمكن من رؤية شيء آخر .. لان روجر اسرع باطفاء مصباحي السيارة .
سال الرجل :
ـ هل هذا هو المنزل ؟
ـ نعم .
ـ واين صديقك ؟
فاجاب روجر بخشونة :
ـ لو كنت ممن يعلمون الغيب لاجبتك في غير تردد .. انك رايتني يا سير ليسنج عندما اوقفت السيارة .. وبحثت تحت الشجرة عن الرسالة التي وعدني بها صديقي ..
ولكني لم اجد الرسالة .. ومعنى ذلك ان صديقي .. وكف عن الكلام .. ثم استطرد فجاة :
ـ هل رايت رجلا مصابا برصاصة في امعائه يا سير ليسنج ؟
ـ كلا ..
فقال روجر :
ـ سترى هذا المنظر الآن ..
تحسست السير ليسنج ..

صمت على مضض .. دون أن يعلم لماذا صمت .. كان يود منذ ساعتين أن يقول كلاما كثيرا .. يعبر به لروجر عن رأيه فيه .. وقد هم مرارا بأن يقول هذا الكلام .. ولكنه عاد فملك نفسه .. ولزم الصمت ..

وقد بدأت هذه المغامرة عندما اقتحم عليه روجر منزله .. وأرغمه — والمسدس في يده — على أن يسمع طائفة عجيبة من الأنباء ..

وقد صب روجر هذه الأنباء في أذنيه بسرعة .. وبلهجة لا تقبل مجالا للشك في صدقه .. أو في جنونه .

وأشفق السير ليستنج أن يكون الشاب صادقا لا مجنونا .. رغم أن الأنباء التي سمعها كانت أقرب الى الخيالات والأوهام منها الى الحقائق ..

بيد أن سلوك روجر كان أعجب من قصته .. فانه بعد أن قال كل ما عنده .. ألقى مسدسه أمام ملك البترول .. وقال له في حزم :

— والآن .. لك بين أن ترافقني الى (سولنهام) وبين أن تتصل برجال البوليس وتدعوهم للقبض علي .

فلم يتردد السير جون ليستنج في الاختيار .

***

وثب روجر من السيارة .. فحذا السير ليستنج حذوه .. وسار في أثره ..

ومد روجر يده .. وضغط على جرس الباب بعنف .

وانقضت بضع ثوان قبل أن تفتح كوة في الباب .. وقبل أن يقول قائل من الداخل :

— من بالباب ؟

فأجاب روجر في غير تردد :

— انني أحمل رسالة للأرشيدوق .

— ان الأرشيدوق ليس هنا .

فصاح روجر :

— قلت لك انني أحمل رسالة (من) الأرشيدوق ... افتح الباب بسرعة أيها المغفل .

فتحرك المفتاح في قفل الباب .. وما كاد الباب يفتح قليلا حتى وثب روجر الى الداخل ، ومسدسه في يده .

قال الرجل الذي فتح الباب :

— الزم السكون التام .

فلم يبد الرجل حركة . ولم ينطق بكلمة .

قال روجر :

— تحول .. وارفع يديك .

فأطاع الرجل .. وقلب روجر المسدس في يده . وأهوى بقبضته على رأس الرجل . فسقط هذا جامد الحركة .

قال روجر محدثا السير ليستنج :

— اتبعني .

وأخذ يسير في طريق كبير معبد .. والسير ليستنج يتبعه عن كثب وهو يلهث من التعب والانفعال .

ولم يكن المليونير قد قام بمثل هذه الرياضة (الاجبارية) منذ بضعة أعوام .. وقد لاحظ روجر ثقل حركاته .. واضطر مرارا أن يتريث في الطريق . حتى يلحق به ملك البترول .

ووصل روجر الى الباب الداخلي .. ودق الجرس .. سمع حركة رفع المزاليج ثم فتح الباب بحذر .. فاندفع روجر الى الداخل بسرعة . وعاجل الرجل بضربة على أم رأسه ألقته صريعا . قبل أن يلم بحقيقة الموقف .

ودخل السير جون ليستنج ورأى الرجل ممددا على الارض . فنظر الى روجر بمزيج من الدهشة والاعجاب .. وقال :

— ليتنى اراك بين موظفى مكتبى .. انك شاب على جانب عظيم من البراعة والنشاط يا مستر .. يا مستر كوشواى .

وقبل ان يتمكن روجر من الاجابة .. فتح احد الابواب .. وخرج منه عملاق هائل الجسم . ما كاد يراه روجر حتى صوب اليه مسدسه وهتف وهو يضحك .

— اهذا انت يا صديقى الجميل ماريوس !!! انك ظهرت فى الوقت المناسب .. فقد جئنا لنتجاذب معك اطراف الحديث .

* * *

وقف ماريوس فى مكانه جامدا لا يبدي حراكا .. فاقترب منه روجر والمسدس فى يده . وقال له بلهجة الامر :

— عد الى الغرفة التى خرجت منها يا صديقى .

فهز العملاق كتفيه .. ولكنه اطاع .. ودخل روجر فى اثره يتبعه السير جون ليستنج .

كانت غرفة فسيحة .. انيقة الاثاث .. تحيط بها خزائن الكتب وفى احد اركانها مكتب كبير فاخر .

وصل ماريوس الى منتصف الغرفة .. ونظر خلفه .. وحينئذ فقط رأى السير جون ليستنج .. وعرفه .

لم تتحرك عضلة واحدة من عضلات وجهه المقيت .. ولكنه قال بصوت ينم من الدهشة :

— انت كذلك وقعت فى قبضة هذا الصديق يا سير جون ؟

فقال روجر بهدوء :

— كلا .. انه جاء معى لانه يريد مثلى ان يتحدث اليك .. ابعد عن المكتب ايها الصديق .. وحذار ان تمس ازرار الاجراس .. هذا حسن .

وهنا تقدم السير ليستنج بضع خطوات الى الامام وقال :

— لقد قيل انك اختطفت خطيبتى الانسة سونيا ديلمار .. وانها هنا .

فرفع ماريوس حاجبيه فى دهشة وسأل :

— ومن ذا الذى قال لك ذلك يا سير جون ؟

فقال روجر :

— انا قلت له ذلك .. وكنت صادقا .. فقد ابصرت بها عندما اختطفت فى احدى سيارات الاسعاف .

فلم يعبأ به ماريوس .. وقال وهو لا يزال ينظر فى وجه ليستنج :

— وهل صدقت هذه الحكاية يا سير جون ؟

وكانت نبرات صوته تدل على شيء من اللوم والتأنيب .

فأجاب ليستنج :

— اننى جئت الان لاتحقق من صحتها .. فان الملابسات .

فقاطعه ماريوس :

— نعم .. لابد ان يكون صاحبنا هذا قد اوجد بعض الملابسات فهو شاب على جانب عظيم من البراعة .. ولكن الم تجد فى سلوكه ما يكفى للدلالة على غرابة اطواره ؟ هل تعرف حقيقته يا سير جون ؟

— انه تفضل فذكر لى كل شيء من نفسه .

فرفع العملاق حاجبيه مرة اخرى وسأل فى دهشة :

— ومع ذلك لا تزال تصدقه ؟

— نعـم ..

— نعم .. نعم .. نعم .. ان الصحف التى اعتادت

اذاعة الأنباء المثيرة .. وتجسيم الحقائق التافهة قد جعلت من المجرم الذي يعمل مع صاحبنا هذا .. بطلا اقرب الى المخلوقات الخيالية منه الى البشر العاديين .. ولكن هل تعلم ان البوليس يبحث عن هذا الرجل وصاحبه ؟؟

ـ اعلم ذلك !

ـ ومع ذلك تاتى معه مختارا .

ـ نعـم .

ـ دون أن تنبيء رجال البوليس ؟

ـ لقد اقترح مسـتر كونواى بنفسـه ان انبيء رجال البوليس .. ولكنه اشار الى ان ذلك سيكون معناه القبض عليه وعلى صـديقه .

ولمـا كان هذان الصديقان من الكرم بحيث ركبا الاخطار لانقاذ خطيبتي فانني لم ار من كرم الخلق فى شيء أن اقـابل احسانهما بالاسـاءة .

ـ واذن فقد جئت معه دون أن تتخذ اية وسـيلة لحماية نفسك من غدره ؟

ـ الواقع .. انني امرت خادمي ان يتصـل برجـال البوليس اذا انا لم اعد الى منزلى قبل انقضـاء ثـلاث سـاعات .

فاطرق ماريوس براسه لحظة ثم قال :

ـ هل استطيع ان اعرف الاسباب القاهرة التى حملت صـاحبنا هـذا على المخاطرة بنفسـه .. وحريته .. والاغراض التى اراد ان يدخل السجن لتحقيقها ؟

ـ انه اراد ان يمنع حربا .. حربا طاحنة يراد بى ان اغذيها بالمـال .. والبترول .

ـ يا الهى .. وهل صدقت مزاعمه يا سير جون ؟

وقد نطق العملاق بهذه الكلمات ببساطة طبيعية عجيبـة

اوشكت ان تزعزع اعتقاد ليسـنج .

ولكن ليسنج لم ينخدع بل قال :

ـ انك لم تبريء نفسك من المزاعم التى ينسـبها اليك يا ماريوس .

ـ انني اترك الموضوع لسلامة تقديرك .

فقال روجر بهـدوء :

ـ وذلك ايضا لا يبرئك مما ننسبه اليك .

فبسط ماريوس ساعديه وقال بسذاجة :

ـ اذا لم يكن السير جون قد اقتنع من تلقاء نفسه بفساد هذه المزاعم .. فانني ارجـوه ان يفتش المنزل بنفسـه ويبحث فيه عن خطيبته .

سادعو احد الخـدم ..

فصاح به روجر :

ـ لا تمس زر الجرس .

ـ اذا يمنعاني من مساعدتكما .. فكيف ..

فقاطعه روجر :

ـ نحن لسنا بحاجة الى مساعدتك .

فهز العملاق كتفيه وقال محدثا ليسنج :

ـ فى هذه الحالة اراني عاجزا عن تقديم الادلة الملموسة على أن الانسة ديلمار ليست فى هذا المنزل .

فقال روجر بهدوء :

ـ اذن فانت نقلتها الى الباخرة . اليس كذلك ؟

ـ اية باخرة ؟؟

ـ آه .. انت لا تعرف اية باخرة . هل قابلت التعيس ؟

ـ انني لم اقابل احدا من رجال عصابتك .

فتهالك روجر فى احد المقاعد . واهتز اصبعه فوق زناد المسدس ، وراي ماريوس المـوت يطل عليه من فوهـة

المقدس . ولكنه لم يضطرب ولم ينزعج . وقال محدثا ليستنج بصوت هادىء :

— ها انت ترى يا عزيزى ليستنج ان صاحبنا هذا يتأهب لقتلى . ومن المحتمل ان يقتلك فى اثرى . وهكذا لن يعرف احدنا غرضه الحقيقى من هذه المناورة وذلك مما يؤسف له .. فقد كنت اود ان اعرف .

لا شك انه ورجال عصابته هم الذين اختطفوا خطيبتك . ولكنى لا اعلم لماذا اراد ان يلصق التهمه بى . اللهم الا اذا كان غرضه ان يجىء بك الى هنا . ليقتلنا معا . ويتخلص منا .

وفى هذه الحالة لا اعلم كذلك لماذا يصر على ابعادى بعد ان وصل الى غرضه . واصبح فى مقدوره ان يقتلنا .

* * *

فقطب روجر حاجبيه .

كان يفكر فى امر واحد . وتفكيره فى هذا الامر هو الذى منعه من ان يطلق الرصاص على ذلك العملاق المقيت .

كان يريد ان يعرف ماذا اصاب اقدبس وسونيا .

وخطر له ان ماريوس ربما كان الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يرشده الى مكانهما .

ولذلك فهو .. لم يطلق الرصاص على ذلك المخلوق الكذاب الفاجر . الذى يحاول مناضلته بسلاح الكذب والخديعة .

كانت الكذبة بارعة .. وجديرة بذلك العقل الجهنمى الذى يمتاز به ماريوس .

* * *

ووقف ليستنج مترددا .. وراح ينقل البصر بين ماريوس وروجر .. واخيرا استقرت عيناه على وجه روجر .

كانت نظرة مريحة ..

كان يريده ان يقدم دليلا على صدق مزاعمه .. دليلا يدرأ به التهمة التى وجهها اليه ماريوس ..

ولكن اذا لم تكن سونيا ديلمار بالمنزل .. فأى دليل يستطيع روجر ان يقدمه ؟؟

وشعر روجر بمزيج من الغضب والعجز .. وخوار العزيمة ..

نعم كيف يستطيع ان يقدم دليلا ..

ووقع بصره فجاه على جهاز التليفون .. وتفتق ذهنه عن طريقة للخلاص .. طريقة للفوز والانتصار .

تحول الى ليستنج وقال له :

— يخيل الى اننى لم اوفق تمام التوفيق فى تصوير ماريوس واظهاره امامك على حقيقته كرجل واسع الحيلة .. شديد الخداع .. يعرف كيف يتسلل من بين اصابعك كانه الزئبق .. ولكنى ساحاول التدليل على ذلك بالبرهان والبينة .. وسأناضله بمثل سلاحه .

فاذا كان صحيحا ما قاله من اننى لم اقصد الا الايقاع بكما .. فلماذا استمر فى خدعتى .. ولماذا لا اقتلكما فى التو واللحظة وانصرف ؟؟

واذا كان غرضى ان اوجه الى ماريوس تهمة هو برىء منها .. فكيف افعل ذلك دون ان ادبر الادلة والبراهين سلفا .. فافاجئه بأدلتى وبراهينى المصطنعة .. بدلا من ان اقف هكذا وليس لدى من الادلة غير صدق كلامى ؟؟

فقال ماريوس محدثا ليستنج :

— لقد قلت لك ان صديقنا بارع غاية البراعة .

- ماذا تعنى ؟؟

- اعنى انه ابرع مما كنت اتصور .. ان تزييف الادلة ليس سهلا يا سير جون . وصديقنا يعترف بجسارة انه لا يملك دليلا غير صدق كلامه .. وهو يريد - بجسارة كذلك - ان يتخذ من افتقاره الى الدليل . دليلا على صحة مزاعمه .

ذلك ضرب من التلاعب بالالفاظ جدير بالاعجاب حقا .

ضحك روجر . وقال :

- انت رجل ذكى يا ماريوس .. ولكنى مع ذلك ساضعك امام دليل ملموس .

انك تعرف اشياء كثيرة لا اعرفها .. واريد ان اعرفها . كمكان الانسة ديلمار مثلا .. ومكان صديقى تمبلار .. ولكن من المؤكد انك لن تبوح لى بشىء .

ان هناك وسائل عديدة لحمل امثالك على الكلام .. هناك وسائل عنيفة تحل عقدة لسانك .. ولكنى لا افكر فى الالتجاء الى شىء من هذه الوسائل .. اولا لان الوقت ضيق .. وثانيا لان السير ليبنج ان يقر الوسائل العنيفة ..

ومع ذلك فاننى ساقهرك على الكلام .. دون ان الجأ الى التهديد والوعيد ووسائل العنف .

هز ماريوس كتفيه وقال ساخرا :

- اتمنى لك التوفيق .

- انا اعلم انك تريد اطالة الموقف حتى ياتى احد اعوانك لانقاذك .. ولكن الوسيلة التى تفتق عنها ذهنى لا تستغرق اكثر من بضع دقائق .

يذكر السير جون ليبنج ان القصة التى سردتها عليه قد تضمنت اسماء اخرى غير اسمك .. تضمنت مثلا اسم

هنريخ دوسل .. والارشيدوق رودلف .

- وماذا فى ذلك ؟

- هل تنكر انك تعرف هذين الرجلين ؟

- من الحمق ان انكر ذلك .

- هل تؤكد انهما لا يعلمان شيئا عن حادث الاختطاف ؟

- هذا امر لا شك فيه .

فتنهد روجر بارتياب وقال :

- حسنا اليك اذن افضل فرصة لاثبات برائتك .

يوجد فى ركن هذه الغرفة تليفون ذو سماعتين .. فاتصل بمن شئت من صديقيك .. اتصل بهنريخ دوسل .. او بالارشيدوق . واذكر له اسمك .. وقل له « ان الفتاة قد هربت » ودع السير ليبنج يصغى بالسماعة الثانية الى الاسئلة التى يلقيها عليك فى هذا الصدد .

* * *

ساد صمت عميق .. لم يستغرق اكثر من بضع ثوان .. ولكن هذه الثوانى كانت بالنسبة الى روجر اشبه بدهر .

كان يشعر بقلبه يركض بين ضلوعه . وباعصابه تكاد ان تتمزق .

فقال ليبنج :

- هذه وسيلة معقولة لتصفية الموقف يا ماريوس .

فتحول اليه ماريوس فى بطء وقال :

- الحق انها فكرة رائعة .. فاذا كان هذا الحل يرضيك .. فاننى لا ارى مانعا .. رغم ان الوقت متاخر .. من ..

فقاطعه ليبنج بقوله :

- سيكون من دواعى سرورى وارتياحى ان اسمع

جوابا مقنعـا .. فاذا ثبت اننى خـدعت .. فاننى اعتذر لك ..

ـ هذا حسن .

وقصد العملاق الى جهـاز التليفون بخطوات بطيـئة .. ثقيلة .. وراح روجر يرقبـه عن كثب .. ويحصى عليـه الحركات والسكنات .

كان يشعر بانه تحرج .. وانه لابد سيقدم على محـاولة ما للتخلص من مأزقه .. تضـيق عليه الخنـاق .. ليفوت عليه كل فرصة ممكنة .

وتناول ماريوس السماعة :

ـ آلو .. آلو .. اريد الاتصـال بلندن .. تليفون رقم ٥٨٦٥ .. نعم .. شكرا لك .

كان صوته هادئا .. وعندما وضـع السماعة .. كانت تقاطيع وجهه تدل على الطمانينة ..

قال :

ـ سيتم الاتصـال بلندن بعد بضـع دقائق .. وما دمت لا ازال بريئا فهل تسمح بتدخين لفافة تبغ من لفائفى يا سير جون ؟

فقال روجر بسرعة :

ـ لا تقترب من المكتب .

وهز ليسنج رأسه وأجاب :

ـ اننى لن ادخن .

ـ اذن فاسمح لى بأن ادخن .. هل يتفضـل مستر .. مستر كونواى بامدادى بلفافة ؟

فاقتـرب روجر من المكتب .. دون ان يحـول بصره او مسدسـه عن ماريوس .. وتنـاول لفافة تبغ .. وقدمهـا اليه فى حذر فوضعها ماريوس بين شفتيه . وانحنى رأسـه

شاكرا ولم يسمع روجر الا الاعجاب ببرود الرجل وثباته .. وسيطرته على أعصابه .

لم يكن لديه شـك فى ان العملاق انمـا يريد ان يكسب الوقت .. فربمـا يدخل احـد اعوانه قبـل ان يدق جرس التليفون .

لذلك اضطر ان يوزع رقابته بين الباب وماريوس .

رأى هذا الاخير يمد يده ببطء فى جيبه . فصاح به :

ـ ارفع يديك .

فقال ماريوس ببرود :

ـ ولكنك بغير شك ستسمح لى باشـعال اللفافة .. لقد اردت ان اتناول من جيبى عود ثقاب .

واشعل روجر عود ثقاب .. وبسط يده به الى ماريوس .. فانحنى ماريوس واشعل لفافته .

وهنا التقت عيونهما .

كان السكون فى هـذه اللحظة شاملا .. فسمع القوم بوضوح صيحة ترددت فى الخارج .

هتف روجر :

ـ قف الى جانبى يا سير ليسـنج .. واستعد .. وانت يا ماريوس .. تراجع الى الوراء .

وقبل ان يتم عبارته .. فتح الباب .. فنظر روجر وراءه بالغريزة .. ولكنه شعر فى ذات اللحظة باصـابع كالفولاذ تقبض على يده .. ورأى مسدسـا مصوبا الى رأسـه .. وسمع الضحكة الهازئة التى انفلتت من شـفتى العملاق وهو يهجم عليه . وينزع المسدس من يده .. ويقـذف به نحو الجدار بقوة الجبابرة .

وانه يرتطم بجدار الغرفة .. اذا ببصره يقع على القديس وسونيا .. وخلفهما هرمان ومسدسه فى يده .

قال القديس بصوته الهادىء الهازىء :
ــ طاب مساؤكم ايها الاصدقاء .

الفصل العاشر

في الفخ

كان القديس باسم الثغر هادئا قليل الاكتراث كعادته في اشد المآزق كذلك كانت سونيا هادئة رابطة الجأش .. لا يبدو عليها شيء من علامات الاضطراب والقلق .

اما هرمان فانه وقف وراء الفتاة . وسدد مسدسه مصوبا الى القديس .. وفي عينيه بريق الفوز .

ساد الصمت في الغرفة لحظة .. ثم ضحك القديس وقال بصوته الهازىء الرنان :

ــ اهذا انت يا روجر .. كيف الحال يا غلامي العزيز .. وانت يا سير ليستنج .

ولكن ليستنج كان متجهم الوجه منقلب السحنة .

قال بصوت اجش :

ــ اذن فكل ما قيل لي صحيح يا ماريوس ؟

فقال القديس :

ــ وهل هناك شك في ذلك ؟ هل خطر لك ان ترتاب لحظة واحدة في صدق روجر « ان روجر غلام بريء لا يعرف معنى الكذب اليس كذلك يا ماريوس الجميل » ؟

فلم يجبه ماريوس .

كان وجهه وقتئذ اشبه بوجه الحيوان المفترس .

نظر الى هرمان بعينين يتطاير منهما شرر الغضب .

وراح يقول له كلاما بالالمانية جعل الرجل البدين ينكمش كالكلب المذنب .

تمتم القديس :

لا تقس عليه يا ماريوس . انه جاء بنا في هذه اللحظة بحسن نية دون ان يعلم ان السير ليستنج موجود هنا .

نظر اليه ماريوس وسأله :

ــ واذن قد استطعت الفرار من الزورق بالتمبلار ؟

ــ انني لم اجلس قط في الزورق .. حقا انني استخدمته في الوصول الى الباخرة ولكني لم اجلس فيه . هل تسمح لي بالتدخين ؟ .. واخرج علبة التبغ من جيبه ..

صاح العملاق :

ــ كلا .. انني سمعت الشيء الكثير عن عجائب اللفافات التي تدخنها اعطني هذه العلبة .

تنهد القديس وقال :

ــ على رسلك اذن . سادخن احدى لفائفك .

واقترب من ماريوس . وقدم اليه علبة التبغ . ثم جلس على حافة المكتب .. وتناول احدى لفافات ماريوس . واشعلها وراح يدخن في هدوء .

اما ليستنج . فانه حملق في وجه ماريوس بحدة وقال :

ــ ماذا تقول الآن يا ماريوس ؟

فهز العملاق كتفيه واجاب :

ــ انني لا اقول شيئا على الاطلاق يا سير جون ..

ثم استطرد بصوت هادىء :

ــ ان كل ما قيل لك صحيح بحذافيره .

ــ يا الهي يا ماريوس .. اذن فانت تريد حربا !! ولكن اتعلم يا رجل ما معنى الحرب في الوقت الحاضر ؟!

ــ انني اعلم ذلك حق العلم يا سير جون ؟!

ــ وكنت تريد ان تتخذ مني اداة للتنفيذ ..

ــ تلك فكرة طرأت لي ..

— يا لك من شيطان ..
فقلب العملاق شفته وقال :
— لا معنى للسباب والشتائم يا سير جون .. اجلس الان واسترح ريثما ..
فضحك ليستنج بمرارة وصاح :
— اجلس واستريح ؟! انني لن اعرف معنى الراحة حتى اراك طريحا في احد سجون انجلترا .. واذا قدر لك ان تخرج من السجن بعد ذلك فانني سأطاردك بقية حياتك حتى لا تعرف للراحة طعما ..
هذا هو جوابي ..
قال ذلك ونكص على عقبيه وقصد الى الباب .. فصاح به ماريوس :
— صبرا لحظة ..
فتريث المليونير .. وتحول الى العملاق ببطء .. فراى في عينيه نظرة قاسية باردة كالفولاذ ..
قال ماريوس وهو يلوح بالمسدس في يده :
— يؤسفني ان اقول لك انك لا تستطيع الانصراف الان يا سير جون .
لقد شاءت لك الاقدار والمصادفات ان تقع على معلومات يهمني الا تستخدمها للغرض الذي عبرت عنه في التو واللحظة ..
والواقع .. انني لم اقرر بعد ان كان في استطاعتك الانصراف من هنا على الاطلاق .
ففتح ليستنج فمه ليتكلم .. ولكن ماريوس حول بصره عنه الى القديس وسأله :
— هل استطيع ان اعرف من هو صديقك الذي قتل في الزورق ؟
— لا استطيع ان ادعوه صديقي .. فان قبضتي لم

تصافح مسكه الا مرة واحدة .. وقد سقط على اثر هذه المصافحة .. فوضعته في القارب .
— ما اسمه ؟
— لا اعرف عنه الا انه كان يتكلم بالايطالية .
فقال هرمان :
— انه انطونيو يا سيدي .. وكان قد تخلف على الشاطىء بعد رحيلنا .
— اذن فقد قتلت احد رجالي ؟
— ذلك من دواعي اسفي .
— وهل استطعت الوصول الى الباخرة ؟
— طبعا .. وتعرفت هناك بالرفيق فاسيلوف .. ودار بيننا حديث ودي .. تركته على اثره موثق اليدين والقدمين مكموم الفم .
— الم يرك الكابتن مولر . قبطان الباخرة ؟
— انه رآني .. وكانت المقابلة بيننا مؤثرة .. حتى انه اقسم الا ان يهبط الى الماء لتبريد عواطفه الملتهبة .. ولكن من سوء الحظ انه لم يخرج من الماء .
فادرك ماريوس غرضه .. وعض على شفته .
وعقد العملاق يديه وراء ظهره .. وراح يسير في الغرفة جيئة وذهابا .
ثم وقف اخيرا امام المكتب .. وضغط على زر الجرس .. وقال بصوت اجش :
— لقد فكرت وقررت ..
فقال القديس وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :
— هتاف وتصفيق للرجل الذي فكر وقرر ..
فنظر اليه ماريوس بحدة .. والتقت عيون الرجلين .. فخيل الى روجر انه يرى حسامين يلتقيان .

وفتح باب الغرفة .. ودخل منه ثلاثة من رجال ماريوس ..

عرف القديس اثنين منهم .. هما الاسبانى والالمانى اما الثالث .. فكان دميم الخلقة .. مكسور الانف .. يغرى منظره بتعميم حكم الاعدام ..

قال ماريوس محدثا الرجل الثالث :

ــ ابحث عن حبل يا بروسر واشدد وثاق هؤلاء الكلاب

تمتم القديس وهو ينظر الى ماريوس :

ــ انك رجل مؤدب ايها الغوريللا .. لقد كنت احسب ان هنا هيئة امم .. ولكنى وجدت ان هنا حديقة حيوانات ..

وصمت لحظة ثم استطرد :

هل لى ان اعلم ماذا قررت يا ماريوس .

فاجابه العملاق :

ــ سوف ترى ..

فاحنى القديس راسه باحترام .. واخذ يهتم بتدخين لفافة التبغ قبل ان يشد وثاقه .

كان فى ظاهره هادئا .. قليل الاكتراث .. ولكنه كان فى الواقع يفكر .. ويفكر بسرعة .

هز ساعده الايسر بلباقة ليستوثق من ان الخنجر الذى اعتاد ان يخفيه فى كم قميصه لا يزال موجودا فى موضعه .. واطمأن .

كان هرمان قد جرده من مسدسه .. ولكنه لم يفطن الى وجود هذا الخنجر .

وابتهل القديس الى الله فى سره الا يفطن ماريوس بدوره الى هذا الخنجر .. الى هذه الوسيلة الوحيدة التى يستطيع بها ان يتخلص من وثاقه .. ويخلص زملاءه .

...

لم يكن يهتم لنفسه .. بقدر اهتمامه لروجر .. وسونيا نعم .. كان يهتم لسونيا بصفة خاصة .. ولولاها لاستطاع الافلات من قبضة هرمان اثناء الطريق .. ولكن هرمان هدده اذا فر بان ينهال على الفتاة ضربا حتى يعود من فراره .

وعاد بروسر وشرع يشد وثاق روجر وسونيا والقديس وليستنج ..

اما ماريوس .. فانه وضع مسدسه فى جيبه وجلس يفكر ..

لم تكن تقاطيع وجهه تدل على انه يفكر فى نوع عادى من انواع الانتقام ..

اخرج من درج مكتبه خريطة ونسخة من جريدة . فقرا فقرة فى الجريدة ثم راح يدرس بعض المواقع على الخريطة .

وجعل القديس يرقبه .. ولاحظ ماريوس ذلك فابتسم ساخرا وقال :

ــ هاانذا اراك قد بدات تشعر بحمقك . وحرج موقفك يا تمبلار !! هل ادركت الان ان هناك ظروفا يخون فيها الانسان ذكاؤه وتهويشه ؟

ان علامات القلق واضحة على محياك .

فهز القديس كتفيه وقال :

ــ انني لا اشعر بالقلق .. ولكنى افكر فى مطلع قصيدة اتغنى فيها برشاقتك .

فهز ماريوس راسه وقال شامتا :

ــ سوف نرى اينا سيضحك اخيرا .

وكان بروسر قد فرغ من شد وثاق روجر وليستنج .

ووقف الشاب والميوتير جنبا الى جنب .. واولهما شاحب اللون .. والثانى متقلص السحنة ..

واقبل بروسر على سونيا ديلمار .. وشد وثاقها .. وعندئذ نظرت الفتاة الى روجر .. فالتقت عيناها بعينيه .. واطرقت برأسها .

لم تكن فاهت بكلمة واحدة منذ دخولها .. وقد ظلت هادئة شامخة بأنفها فى الهزيمة كما كانت فى الانتصار .

وانتقل بروسر الى القديس وشرع يشد وثاقه .. ولما فرغ من ذلك مد القديس اصابع يده اليمنى فى كم قميصه فلمست اصابعه الخنجر .

* * *

وانتهى ماريوس من دراسة الخريطة . وكتابة بعض الارقام على ورقة امامه . ثم نهض واقفا . ونادى :

— هرمان .

— نعم يا سيدى .

— ادفع بمسدسك الى (ليتجروف) وتعال .

فاطاع هرمان .. وقدم المسدس الى الرجل الالمانى .. وتقدم الى حيث كان ماريوس .

وبدأ العملاق يتكلم بالالمانية .. وهرمان يصغى اليه .

كان القديس هو الوحيد الذى يفهم الالمانية من دون زملائه الثلاثة وقد سمع كل كلمة قيلت فمرت بجسده قشعريرة قوية .

راح ينقل البصر بين الرجلين .. كأنه لا يصدق اذنيه .

وختم ماريوس تعليماته بأن قال وهو ينظر الى الساعة المثبتة بالجدار :

— يحسن بك ان ترحل فى الحال .. وسوف تجد امامك متسعا من الوقت .. ما لم يقع لك حادث فى الطريق .

— كن مطمئنا يا سيدى .

— وعليك بالعودة الى هنا فى الحال .

— حسنا ..

وفتح ماريوس خزانة فى الجدار واخرج منها طائفة من الصناديق الصغيرة الحجم .. وقدمها الى هرمان فوضعها عدا فى جيبه . وتحول لينصرف ..

وعندئذ التقت عينا القديس بعينيه .. فرأى فى نظراته بريقا جنونيا مخيفا .

وعندما مر هرمان بسونيا انثنى نحوها ونظر اليها نظرة فاجرة وقحة .

وشيع ماريوس هرمان ببصره حتى انصرف ثم نظر الى القديس وقال :

— والآن يا عزيزى تمبلار . قد حان الوقت للتخلص منك ومن صديقيك ..

وفهم القديس لماذا تغاضى ماريوس عن ذكر سونيا فى عداد اصدقائه الذين يراد التخلص منهم .

كان قد سمع حديثه مع هرمان . وفهم من هذا الحديث ان العملاق وعد هرمان بان يهبه الفتاة اذا هو نجح فى المهمة التى اتيطت به .

قال القديس :

— ارجو ان تكون قد ابتكرت لى موتة طريفة غير عادية .

فقال ماريوس بهدوء :

— من الضرورى طبعا ان تموت يا تمبلار . ان بيننا حسابا لا يمكن تصفيته الا بالموت .

فاجاب القديس وفى عينيه نظرة باردة صارمة كالفولاذ :

— صدقت يا ماريوس . ان هذا العالم اضيق من ان

يتسع لرجلين مثلنا . ويجب ان تكون على يقين من انك اذا لم تقتلنى فاننى لن اتردد فى قتلك .

فقال ماريوس فى هدوء :

ـ اننى موقن من ذلك .

فقال القديس متهكما :

ـ ولكننا لم نعلم بعد الطريقة البديعة المبتكرة التى اعددتها للتخلص منى .

انك لا تستطيع ان تعمل التقتيل فى الناس فى انجلترا بسهولة . ثم ان القتل شىء .. والتخلص من جثث القتلى شىء آخر .. فماذا كان فى نيتك ان تقطع اجسادنا اربا .. وتلقى بنا فى بالوعة المطبخ مثلا ..

فقاطعه ماريوس بان قال وهو يهز رأسه :

ـ ان افكارك وتصوراتك ميلودرامية اكثر مما يجب .. فاذا كنت تعتقد اننى سأقذف بك فى غرفة ملأى بالثعابين او اضعك فى سرداب واطلق عليك ماء البحر .. او احبسك فى قفص واحد مع نمر مفترس .. اذا كنت تتوقع شيئا من ذلك فانت واهم ..

اما الخاتمة التى اعددتها لك .. او لكم جميعا .. فبسيطة غاية البساطة ..

انكم ستذهبون ضحية حادث يؤسف له .. ذلك كل ما هنالك .

وكان القديس يصغى اليه .. واصابعه تعبث بالخنجر .. وتجتذبه من غمده .

وفجأة .. دق جرس التليفون .. فتناول ماريوس السماعة . وبدأ يتكلم ..

وهنا قال روجر :

ـ ربما كان المتكلم هو الهر هنريخ دوسل ..

فنظر اليه القديس فى دهشة ..

كان فى اشد الحيرة من صمته الطويل .. فلما نطق بهذه العبارة رغم انه لا يفهم كلمة واحدة من اللغة الالمانية .. ادرك القديس ان صمت روجر كان عن تفكير .. وأن عدم اشتراكه فى الأحاديث التى دارت لم يمنعه من تتبع الموقف باهتمام ..

واستند القديس الى الجدار .. ورفع عينيه الى السقف كأنه يفكر ..

وفى ذات الوقت كان الخنجر يحز فى الحبل الذى يربط يديه ..

ووضع ماريوس السماعة اخيرا وقال محدثا القديس :

ـ والآن سأتفضل عليك بتفاصيل الحادث المؤلم الذى سيترتب عليه موتكم .

سيعلم الناس جميعا غدا انك ورجال عصابتك قد اختطفتم السير جون ليسنج ـ لاسباب مجهولة ـ وقتلتم خدمه حين حاولوا مقاومتكم ثم جئتم به الى سولتهام ـ لاسباب مجهولة كذلك ـ

ولاسباب مجهولة ايضا .. سقطت بكم السيارة من فوق الاكمة .. فقتل بعضكم بسبب سقوط السيارة .. ومن لم يقتل احترق فى النيران التى التهمت السيارة عقب سقوطها ..

اما كيف يمكن ان يقع هذا الحادث .. فذلك ما سترونه لاننا سنبدأ الان ..

واشعل لفافة تبغ .. والتفت الى بروسر وقال له :

ـ ستجد سيارة بالقرب من هذا المنزل .. فاذهب بها الى الاكمة ثم اقفز منها عندما تقترب بها من القمة ..

ودعها تسقط الى الحضيض وتتحطم .
وعليك بعدئذ ان تحمل صفيحة من البنزين ! ..
وتنتظرنى بها على مقربة من حطام السيارة .
فأطاع الخادم وانصرف .
واستند القديس الى الجدار مرة اخرى وجمع فى قبضة يده قطعة الحبل التى قسمها الخنجر .
قال القديس :
— اننى فى الحق شديد الاعجاب بذكائك يا عزيزى ماريوس .. ولولا ان فى نيتك تهشيم عظامى واكل لحمى لنظمت القصائد فى مدحك ..
فهز ماريوس كتفيه بقلة اكتراث وقال :
— اظن من الاوفق ان اكمم فمك .
ثم التفت الى الخادم الاسبانى الذى ظل طول الوقت يرقب الموقف وهو صامت وقال له :
— جئنى بقطعة من القماش لتكميم هؤلاء الناس يا فرديتان ..
فتثاءب الخادم الاسبانى .. وانصرف .
قال ماريوس :
— سنذهب بكم الى قمة الاكمة وانتم مشدودو الوثاق حتى لا تتحركون ومكمومو الافواه حتى لا تصرخون .. وهناك نقذف بكم فى الحضيض ومن ثم نحل وثاقكم وكماماتكم .. ونضعكم بجانب حطام السيارة .. ونصب البنزين عليكم .. ونشعل عود ثقابه .
وبذلك ينسدل الستار على الحادث المؤلم الذى سوف يعتقد الناس انكم ذهبتم ضحيته .

* * *

وهنا سأل روجر .. وهو يقترب من الفتاة بالغريزة :
واذا حدث ولم يقتلنا السقوط من قمة الاكمة الى الهاوية ؟
فأجاب ماريوس :
— يكون ذلك من سوء الحظ .. لاننا لا نستطيع ان نجهز على احدكم برصاصة مسدس خوفا من ان تثار الريبة حول الحادث المؤسف الذى ذهبتم ضحيته .
بيد انه فى استطاعتنا ان نعمل بالبنزين والنار .. مالا نستطيع عمله برصاص المسدس .

* * *

وقد بقيت هذه اللحظة من اللحظات الخالدة فى ذاكرة القديس .. فلم ينس قط نظرة الرعب التى ارتسمت فى عينى سونيا .. ولا الصوت المزعج المتحشرج الذى انبعث من بين شفتى ليستنج وهو يهتف :
— يا الهى يا ماريوس .. انت لا تستطيع ان تفعل ذلك .. لا تستطيع لا تستطيع .
اما روجر فانه هتف بصوت حاد كنصل الحسام :
— هل انتهينا يا سيمون ؟
فأجابه القديس بصوت هادىء ولكنه مسموع :
— كلا ..
وسمع ماريوس كلمة القديس .. فنظر اليه بحدة .. ثم اقترب منه خطوة وهتف :
ماذا تعنى ؟
فصاح القديس :
— اننا لم ننته بعد .. واذا اردت السبب .. فابحث عنه فى جيبى .

يؤسفني ان اكون سببا في حزنك وخيبة املك ايها الحمل الوديع . ولكني رجل لا اعتمد على المصادفات .. ولا اضع نفسي في ..

فلم يمهله ماريوس .. بل اقترب منه بخطوات سريعة .. وقال في عينيه نظرة ارتياب :

ماذا في جيبك ؟

تمتم القديس :

ــ ابحث تجد .. ابحث في جيب صدريتي ايها الصديق العزيز ..

قال القديس ذلك .. وعيناه تجولان على ثياب ماريوس ..

رأى الجيب المنتفخ في ثوب ماريوس .. فعرف مكان المسدس ..



اعتدل القديس في مكانه .. بحيث جعل ماريوس يقف بينه وبين (لينجروف) الذي حمل المسدس بعد انصراف هرمان ..

وراح ماريوس يفتش صدرية القديس .. فرفع هذا الاخير يده اليسرى بسرعة البرق . واختطف المسدس من جيب ماريوس بخفة ابرع النشالين . وصاح :

ــ لا تتحرك قيد انملة يا ماريوس .

كان صوته كفرقعة الرصاص .. وشعر ماريوس بفوهة المسدس بين ضلوعه .

صاح القديس مرة اخرى :

ــ حذار ان تتحرك .. انني اقتلك بغير تردد .. والان تحدث الى لينجروف . بسرعة .. بسرعة .. انه لا يستطيع

ان يصيبني برصاص مسدسه .. وهو حائر فيما يحسن به عمله .. قل له ان يلقي بمسدسه .. تكلم او اقتلك ..

تتحركت شفتا ماريوس . ولكنه ظل صامتا .

هتف القديس وهو يدفع بالمسدس بين ضلوع العملاق :

ــ اذا لم تتكلم قتلتك ..

ونظر اليه نظرة قاسية .. ليس فيها شيء من معاني الرحمة فهمس ماريوس :

ــ الق بمسدسك يا لنجروف .

وسمع القديس صوت شيء يسقط على الارض .. ولكنه لم يحول رأسه ليستوثق بنفسه بل صاح :

ــ هل القى مسدسه يا روجر ؟

فأجاب روجر :

ــ نعم ..

ــ حسنا .. اقصد الى ركن الغرفة حيث يوجد التليفون يا لنجروف .

وانتظر القديس حتى اطاعه لينجروف ثم قال :

ــ وانت يا ماريوس .. الحق به .. لا شيء والا قتلتك ..

وفي هذه اللحظة .. سمع القديس وقع اقدام خارج الغرفة .. فأسرع نحو الباب .. وما كاد يصل اليه حتى فتح الباب تلقفاه وراءه ..

كان الخادم هو مردبتان . فتريث القديس لحظة حتى توسط الخادم الغرفة . ثم أغلق الباب وقال للخادم الذي وقف في وسط الغرفة حائرا :

ــ هل لك أن تتفضل باللحاق بسيدك في ركن الغرفة ؟

ولم يكن في وسع الخادم الا أن يطيع .



هتف روجر فجاة كأنه لا يصدق حواسه . او كانه يستيقظ فجاة بعد حلم مزعج :

— يا الهي يا قديس ..

فقال القديس وهو يبتسم :

— دعني احل وثاقك . فالوقت ضيق .

وشرع يحل وثاقه وهو يقول :

— لا تزال امامنا مراحل كثيرة قبل الفوز النهائي يا روجر . هل تعلم لماذا .. اقفز يا روجر ..

وقد نطق القديس بالكلمتين الاخيرتين بصوت كانفجار الديناميت فقفز روجر في الحال كأنما لدغته افعى .

وشعر وهو يقفز بشيء اسود يمر بين راسه وراس القديس .

ثم ارتطم هذا الشيء بالجدار وسقط على الأرض فنظر اليه روجر ورأى جهاز التليفون .

* * *

كان روجر قد غفل عن حقيقة الموقف وهو يصغي الى حديث القديس فتحرك . واوقفته حركته بين ماريوس ومسدس القديس .

وانتهز ماريوس هذه الفرصة . وانتزع جهاز التليفون بسرعة البرق وقذفه على الرجلين . وهم بان يثب وراءه لينتزع المسدس من قبضة القديس ..

ولكن القديس تنبه في الوقت المناسب .

قال روجر وهو يلهث :

— لماذا لا تطلق الرصاص على هذا الخنزير يا قديس ؟

فهز القديس راسه وقال :

— لانني ما زلت بحاجة اليه يا فتى .. ثم لان قتله برصاصة بالطريقة العادية امر لا يسر كثيرا .. هناك اناس يلذ للانسان يا روجر ان ينتزع الحياة الدنسة من اجسادهم باصابع يديه .

— اذن فاقتله في الحال .

— كلا .. لم يحن الوقت بعد .. والان .. خذ هذه الحبال .. واشدد بها وثاقهم .. وكن على حذر ..

وشرع تمبلار بحل وثاق سونيا وليستنج ..

كان كلاهما صامتا لا ينطق بكلمة .. فاما الفتاة .. فكان صمتها عن هدوء وبسالة وطمأنينة .. واما ليستنج فكان يرتجف فرقا ولا يقوى على الكلام .

قال تمبلار محدثا الفتاة وهو يبتسم :

— كيف حالك يا فتاتي ؟

— انني في خير حال .. فشكرا لك ..

— التقطي هذا المسدس الذي تركه لينجروف .. وجربي ان كان في استطاعتك استخدامه .

فالتقطت سونيا المسدس .. وحركته في يدها ثم قالت :

— اظن انني استطيع استخدامه .

— هذا بديع .. صوبي المسدس نحو هؤلاء الاصدقاء حتى يفرغ روجر من عمله .. خذي مسدسي كذلك .. اما انت يا مستر ليستنج . فتستطيع أن تسقط مغشيا عليك في احد المقاعد .. ولكن حذار ان تقف في الطريق بين سونيا والاصدقاء المحترمين .

تشجعي يا سونيا .. ساعود حالا .. واذا تحرك احدهم فاطلقي عليه الرصاص .. ولكن لا تقتلي ماريوس .. بحسبك ان تحدثي به عاهة مستديمة .

— الى اين انت ذاهب ؟

فأجاب وهو يثب الى الخارج :
ــ سابحث عن كلب .
وفهم روجر غرضه .. ولكنه لم يفهم السبب فى اسراعه .
ذلك لان روجر لم يفهم معنى الحديث الذى دار بين ماريوس وهرمان .. ولم يفهم كذلك نتائج تحطم جهاز التليفون .

* * *

خرج القديس من المنزل وثبا .. وراح يبحث عن سيارته التى تركها روجر فى الخارج .
ولكنه لم يجدها .
نظر حوله .. وانصت . وما لبث ان سمع دوى المحرك .. ورأى النور الساطع المنبعث من مصباحى السيارة .
كانت السيارة تصعد الاكمة بسرعة .. فعض القديس شفته .. ووثب نحوها باقصى سرعة .
ولكنه لم يكد يتوسط الطريق الى القمة .. حتى رأى السيارة تهوى الى الحضيض بصوت كقصف الرعد .
لم يقف القديس بل استمر يعدو .. ووصل الى قمة الاكمة قبل ان يتحرك بروسر من مكانه .
قال بصوت هادىء :
ــ هل انت مستر بروسر ؟
فنظر اليه الرجل .. واستولى عليه الذعر .
فقال له القديس بهدوء ايضا :
ــ انك حطمت سيارتي البديعة .
ولكم الرجل على غرة لكمة القت به فى اثر السيارة .

* * *

وعاد القديس أدراجه وهو يمشى ببطء .. كما اعتاد ان يمشى كلما شعر بحاجته الى اعمال الفكر .
كانت هناك اشياء كثيرة يتعين عليه ان يفكر فيها .
دخل الغرفة فسأله روجر :
ــ هل امسكت بالكلب .
فأجاب القديس :
ــ نعم .. ولا .. اننى امسكت به بعد فوات الوقت .
فقطب روجر حاجبيه وسأل :
ــ تعنى انه حطم السيارة ؟
ــ نعم .
وتهالك القديس على احد المقاعد .. وراح يفكر .. ثم نهض .. وتناول جهاز التليفون .. وفحصه .. وهز رأسه .
سأله روجر :
ــ ماذا يجب ان تفعل الان ..
فنظر اليه القديس بحدة وسأل :
ــ هل نسيت هرمان ؟
ــ الواقع اننى نسيته مؤقتا .. ولكن ..
ــ وهل تعلم الغرض من الصناديق الصغيرة التى اخذها معه ؟
ــ كلا ..
ــ طبيعى الا تعلم ولكنى سأنهى اليك الحقيقة على خطوات ومراحل .. حتى لا يشتعل الشيب فى رأسك ذعرا .. وهلعا .
اعلم اذن ان تحطيم السيارة وجهاز التليفون قد يؤديان الى تقويض اركان السلم العالمى .. واشتعال نيران

حرب لا يعلم غير الله كيف تنتهي وبعد كم من السنين تنتهي .

انك كنت تتوهم باننا انتصرنا .. اليس كذلك ؟

— ماذا تعني يا تمبلار .. انني لا افهمك ؟

وكان ماريوس قد القى الى سلة المهملات بالجريدة والخريطة اللذين عمد الى دراستهما قبل ان يصدر تعليماته الى هرمان .. فقصد القديس الى السلة .. وتناول منهما الجريدة .. وتصفحها بسرعة .. ثم وضع أصبعه على فقرة منهـا . وقال :

— تعال واقرا يا روجر .

وقرا روجر تلك الفقرة ثلاث مرات قبل ان يتطلع الى وجه القديس وفي عينيه نظرة تدل على انه فهم .

الفصل الحادي عشر

الحيلة

هتف روجر وهو يبلل شفتيه الجافتين بلسانه :

— ولكن هذا مستحيل .

نهز القديس راسه ببطء واجاب :

— هذا هو الواقع .

ونهض واقفا .. واخذ يسير في الغرفة بخطوات غير متزنة تدل على قلقه وحيرته .

ولم تستطع سونيا ضبط شعورها وكتمان فضولها .. فاقتربت منهما ، وتناولت الجريدة .. وقرات الفقرة .. قال :

— هذا ما سيفعله هرمان .. انني سمعت كل كلمة نطق

بها ماريوس وفهمت معناها ، ومن المحتمل ان تكون هذه آخر حيلة في جعبته .. لأنها حيلة اليائس المستميت ... وربما لم يكن في نيته ان يستخدمها الا اذا تقطعت به الأسباب وعجز عن عمل اى شيء آخر . ولكن هكذا شاءت الأقدار ان تسنح له الليلة فرصة لاطلاق السهم الذى ادخره لآخر لحظـة ..

— ولكني لا افهم الغرض .

فصاح القديس بضجر :

— ان الغرض واضح وماريوس رجل وصولي . يؤمن بالمبدأ القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة .. ثم لا تنس ان هرمان رجل متعصب للعنصر الجرماني . ولا تنس كذلك انه من المحتمل ان يكون ماريوس قد دبر الأمر بحيث يقبض على هرمان فيما بعد . وتوجد معه من الأوراق والادلة ما يثبت فعلته الهائلة .

ولكن ماذا نستطيع ان نفعل الان .. ماذا يوسعنا ان نفعله ؟ ..

فسأله روجر :

— ومتى سيحدث ذلك ؟

— حول منتصف الساعة السابعة .

فنظر روجر الى الساعة المثبتة بالجدار وقال :

— الساعة الان الثالثة والدقيقة ٢٥ .

وهنا تكلمت سونيا فقالت :

— ولكن لابد انه يوجد تليفون آخر في هذه الناحية .

فاشار القديس الى الجهاز المحطم وقال :

— انظرى الى الرقم المسجل على هذا الجهاز ؟ انه رقم (١) والراجح عندي انه التليفون الوحيد في سونتهام .

— لابد أن يكون بمكتب البريد بالقرية جهاز تليفون .

وهتف روجر :

— هذا راى صائب .

فقال القديس :

— اذن لنبحث .. فهلم بنا ؟

— وهؤلاء القوم ؟ وسونيا ..

— حسنا .. ابق هنا .. وسأذهب وحدى .. اعطنى احد المسدسين يا سونيا ...

* * *

واختطف المسدس من الفتاة .. وانطلق الى الخارج وهو يعدو .

كان قد علم من روجر فى البداية ان قرية سولتهام على بعد ميل من ذلك المنزل المنفرد .. فاتجه شطر القرية مسرعا وتعثر وسقط على الارض مرارا .. ولكنه لم يتريث ليلتقط انفاسه حتى وجد نفسه بين منازل القرية .

وعندئذ برزت له عقبة جديدة .

اين مكتب البريد ؟ وكيف يهتدى اليه فى الظلام ؟

بحث فى الطرق عن اى انسان يسترشد به .. فلم يجد .

واضطر آخر الامر ان يخرج مصباحه الكهربائى من جيبه ، وان يطوف به على الحوانيت والمنازل .

كانت مهمة شاقة مزعجة محطمة للاعصاب ، ولكنه اضطلع بها بحماسة ، واهتدى آخر الأمر الى مكتب البريد ، كان باب المكتب مغلقا بطبيعة الحال ، ولكن لابد ان فى داخله حارسا او اكثر .

قرع الباب بقبضة يده ، واعاد الكرة ، ولكنه لم يسمع جوابا .

قصد الى النافذة وقرعها كذلك ، ولكن بغير جدوى ، واخيرا لم يجد بدا من المجازفة ، فجمع قبضة يده واهوى بها على زجاج النافذة فتحطم الزجاج بصوت مسموع .

وسمع القديس على الاثر صوتا يهتف :

— من هذا ؟

ثم سمع صياح امراة فى منزل قريب ، ولكنه لم يعبأ بشىء ، ووثب من النافذة المحطمة ، واضاء المصباح الكهربائى ، واجال البصر حوله ، فراى جهاز التليفون .

ولكنه لم يكد يتقدم خطوة نحو الجهاز حتى راى راسين يطلان من النافذة .. فشهر مسدسه .. وصوبه وقال بلهجة الامر :

— ابتعدا .

فتبادل الرجلان نظرة ذات معنى .. وفى هذه اللحظة قال قائل خلفهما :

— ماذا حدث ؟

فابتعد الرجلان عن النافذة .. وافسحا السبيل لرجل آخر ضخم الجسم .. اطل بدوره من النافذة .. وراى القديس ثوبه الأزرق . فادرك انه من رجال البوليس .

وراى الشرطى المسدس مصوبا نحو النافذة .. فتردد لحظة .. ثم قال :

— ضع هذا المسدس فى جيبك
وتاهب للوثوب الى الداخل ..

* * *

فكر القديس وفكر بسرعة .

كان من العبث ان يتفاهم مع هذا الشرطى الريفى ، ومن

العبث كذلك ان يحاول (تهويشه) بالمسدس .

ولكنه لم يجد مانعا من الالتجاء الى الحيلة .. فقال :

ـ يسرني انك جئت في الوقت المناسب . انني من رجال قلم المخابرات السرية . فابق معي . فقد احتاج الى مساعدتك .

وكان بعض القرويين قد ازدحموا امام النافذة . وراحوا يتساءلون عما حدث .. فلما سمعوا كلام القديس وقد نطق به بلهجة الرجل الذي اعتاد اصدار الاوامر . لزموا الصمت . وانتظروا النتيجة .

فقال الشرطي وهو يصعده بارتياب :

ـ ولماذا حطمت هذه النافذة ؟

ـ أردت ان اوقظ حارس مكتب البريد .. كان لابد لي ان اتصل بلندن تليفونيا .. وفي الحال .. ولست اعلم لماذا لا يوجد حراس بهذا المكتب .

فقال احد القرويين :

ـ ان مستر نريزر الحارس قد سافر الى لندن . وسيعود غدا صباحا ..

فقال القديس وهو يضع مسدسه امامه . ويشعل لفافة تبغ :

ـ آه .. هذا هو السر اذن .

ثم التفت الى الشرطي وقال :

ـ ايها الشرطي .. هل لك في اجلاء الناس من هذا المكان ؟ ان الوقت ضيق .. اريد ان اتصل بلندن تليفونيا .. ويجب الا يسمع احد حديثي .

وقد نطق القديس بهذه الكلمات بلهجة الامر .. ولكن الشرطي تردد طويلا . ثم قطب حاجبيه وقال :

ـ يخيل الي انني رايت وجهك قبل الان .

فضحك القديس واجاب :

ـ لا اظن ذلك .. فقلم المخابرات السرية لا يعلن عن رجاله .

ـ ولكن هل اجد معك ما يؤيد صدق دعواك ويثبت انك من رجال قلم المخابرات ؟

فصمت القديس لحظة .. ولكنها كانت لحظة قصيرة .. ثم انبسطت اسارير وجهه .

كان من غير المحتمل ان يعلم شرطي ريفي كهذا الشرطي نوع الوثائق التي يستطيع رجل قلم المخابرات ان يثبت بها صحة شخصيته .. او ان يفطن الى حقيقة الوثيقة التي خطر للقديس في الحال ان يبرزها له .

قال القديس دون ان يهتز له هدب :

ـ طبعا .. الصعوبة الوحيدة هي فقط انني لا استطيع ان اذكر لك اسمي .. ولكني واثق من انك ستجد في هذه الوثيقة ما يكفي .

واخرج حافظة اوراقه من جيبه .. وتناول من الحافظة دفترا صغيرا شبيها برخصة قيادة السيارة .

واقترب الشرطي واطل براسه .. ففتح القديس الصفحة الاولى التي توجد بها صورته .. فابرز الصورة للشرطي . ولكنه اخفى اسمه المكتوب تحتها .

ثم قلب الصفحة الاخيرة من الدفتر . واشار الى فقرة مكتوبة بست لغات . فقرا الشرطي في هذه الفقرة ما يلي :

« فعلى الموظفين والمدنيين ورجال البحرية والجيش والبوليس مساعدة حامل هذا » .

* * *

كان هذا الدفتر هو عبارة عن شـهادة من اتحاد الطيران الدولى . وقد حصل عليها القديس عندما اجتاز امتحان قيادة الطائرات في سويسرا .

غير ان رجل البوليس لم يكن يعرف شيئا من ذلك .

كانت الفقرة التى قرأها صريحة واضحة المعنى . فاعتدل فى مكانه فى الحال وقال :

ــ ارجو المعذرة يا سـيدي ...

فقال القديس وهو يضع مسدسه ودفتره فى جيبه :

ــ لا بأس .. انما ارجوك ان تعمل على اجلاء هـؤلاء القـوم .

فأطاع الشرطى فى الحـال .

وتنفس القديس الصعداء .. واقترب من جهاز التليفون وتناول السماعة واصغى ...

وعاد الشرطى الى القديس وساله :

ــ هل حصلت على المواصلة التليفونية يا سيدي ؟

فهز القديس كتفيه وقال :

ــ اننى لا اسمع صوتا .. ويخيل الى ان الخط التليفونى معطل .. خذ وجرب ..

فتناوله السماعة فاصغى الشرطى قليلا ثم قال :

ــ هـذا صحيح ...

ــ فى هذه الحالة يجب ان اجرب جهاز التلغراف .

ــ لا يوجد جهاز للتلغراف هنا يا سيدي .

ــ ماذا تقول ؟ لا يوجد جهاز للتلغراف ! كيف تتلقى القرية برقياتها اذن ؟

فأجاب الشرطى :

ــ نتلقاها بواسطة التليفون من (ساكسموند) .

ثم وضع السماعة وهو يقول :

ــ نعم .. ان المواصلات التليفونية معطلة .. تذكرت الان . لقد قطعت الاسلاك امس على بعد نصف ميل من هنا .. ولم يتم اصلاحها بعد .

فهز القديس راسه وفكر قليلا ثم قال :

ــ وما قولك فى محطة (سولتهام) ؟ ! الا يوجد بها جهاز خاص للتلغراف ؟!

فحك الشرطى راسه واجاب :

ــ لا اعلم .. لا اظن ..

ــ يا الهى .

وضرب القديس الارض بقدمه .. واخذ يسير فى المكان بقلق وقد تقلصت عضلات وجهه .

فمغم :

ــ اذن . لا مفر من وقوعها .. وسـوف ينقلب العالم غدا راسا على عقب .

فقال الشرطى بشيء من التردد :

ــ هل الامر خطير الى هـذا الحد .

فصاح القديس فى ضجر :

ــ ايها المغفل .. اتظن اننى اهزل .

ثم ضبط شعوره ..

لم تكن هناك فائدة من الغضب .

قال اخيرا :

ــ يجب أن نجرب كل وسيلة .. هلم بنا الى المحطة .. فربما وجدنا بها جهازا خاصا للتليفون أو التلغراف .

اين موقع محطة السكة الحديد ؟

ــ انها فى الجانب الاخر من الجسر . ولكنك لن تجد بها احدا فى مثل هـذه الساعة .

— نحن لسنا بحاجة الى احد .. هلم بنا .

* * *

وكان القديس قد ملك نفسه وسيطر على عواطفه تماما لخرج من نافذة مكتب البريد كما دخل .. وتبعه الشرطى .

وكان بعض القرويين ما زالوا يتسكعون أمام مكتب البريد .. تساروا فى أمرهما على مبعدة بدافع الفضول الى معرفة الأسباب التى حملت رجل المخابرات السرية على اقتحام مكتب البريد .

وبعد مسيرة ربع ساعة .. وصل القديس والشرطى الى مكتب المحطة ودخلا من نافذته كما دخلا مكتب البريد .

ووجد القديس جهازا التلغراف .. وقضى خمس دقائق وهو ينقر على الجهاز .. ولكنه لم يسمع جوابا .

* * *

دفن رأسه بين كفيه وقال بمرارة :

— لا فائدة .. من المرجح انه لا يوجد احد فى المحطة التاليه للاجابة على شاراتى .

هز الشرطى كتفيه وقال :

— يؤسفنى انى لا استطيع مساعدتك بشىء .. لاننى لا افهم غرضك .. ولا اعلم ما هنالك .

— من المستحيل ان تفهمنى اذا حدثتك .. بحسبك ان تعلم انه يجب ان اتصل بادارة البوليس (سكوتلانديارد) قبل انتصاف الساعة السابعة .. والا وقعت حرب عالمية .

فهتف الشرطى وهو لاهث الأنفاس :

— والا وقعت حرب عالمية ؟

— نعم .. الا توجد فى هذه القرية سيارات سريعة ؟

— كلا يا سيدى .. لا يوجد سوى سيارات النقل .

— ما طول المسافة بين (سولتهام) و (ساكسموند) ؟

— اثنا عشر ميلا تقريبا .. ولكنى غير واثق .. دعنى اتأكد .. ان فى جيبى خريطة ....

ودس الشرطى يده فى جيب ثوبه .. واخرج طائفة من الأوراق المهشمة .. ووضعها امامه على الطاولة .. وأخذ يبحث عن الخريطة ..

وحانت من القديس التفاتة الى ساعة مكتب المحطة ... واخذ يحسب حساب الوقت .. والمسافة ..

اثنا عشر ميلا ..

انه يستطيع اجتياز هذه المسافة خلال ساعة .. فاذا قضى ساعة أخرى فى محاولة العثور على جهاز التليفون والاتصال بادارة البوليس فى لندن .. فانه قد ينجح ..

ولكن هب أن سيارة النقل تعطلت به فى الطريق ..

اذن يجب الحصول على سيارتين .. يقود هو احداهما ويقود روجر الاخرى .. وبذلك يأمن الطوارىء ..

قال محدثا الشرطى :

— هل فى استطاعتك ان تأتينى بسيارتى نقل ؟! .. سيتولى احد اصحابى قيادة السيارة الثانية .. فاذهب انت و ..

وكف عن الكلام فجأة .. لأنه لاحظ ان الشرطى ينظر اليه وهو مفتوح العينين والفم .. كما لو كان ينظر الى شبح ..

ولاحظ القديس السر فى ذلك .. فقد رأى امام الشرطى

ورقة عليها صورة فوتوغرافية ..

كانت بلا شك صورته .. وتلك الورقة كانت بغير شك احدى النشرات التى اذاعتها ادارة البوليس على رجالها للقبض عليه ..

* * *

وضع يده فى جيبه حيث يوجد المسدس .. ولم يظهر على وجهه شىء من دلائل الانفعال ..

سأل بصوت هادىء :

— ماذا أصابك ؟ هل انت مريض ؟

فاجاب الشرطى وهو يتنفس بصوت مسموع :

— لقد كنت اعلم اننى رأيت وجهك من قبل .

— ماذا تعنى بحق الشيطان .

— انا اعلم ماذا اعنى .

ثم بسط النشرة البوليسية امام القديس وقال بلهجة الفائز المنتصر :

— ها هى صورتك .. وها هى نشرة البوليس تأمرنا بالقاء القبض عليك اينما تجدك .

فظل القديس ثابتا كالصخرة .

قال بلهجة حازمة :

— انك تهرف بما لا تعرف يا صديقى . لقد ابرزت لك ما يثبت شخصيتى ..

— انا لا افهم غير النشرة البوليسية .

— لا شك انك تخلط بينى وبين شخص آخر .

— اننى لست مغفلا كما وصفتنى منذ لحظة .

فنهض القديس واقفا .. واخرج يده من جيبه .

كان الموقف يختلف عما كان عليه فى مكتب البريد .. فلا يوجد الان قرويون للتدخل فى الامر .. فلابأس اذن من معركة بسيطة .

قال :

— على رسلك يا صديقى .. سوف أوصى بترقيتك عندما يقبض على ولكن لست انت الذى أسمح له بالقبض على .

وبدأت المعركة .. وانتهت بعد دقيقة واحدة بصيحة هائلة أفلتت من بين شفتى الشرطى وهو يسقط على الارض محطم الفك .

واطل القديس من النافذة .. وما لبث أن سمع وقع اقدام كثيرة تسرع نحو المكتب .

أدرك أن بعضهم قد سمع صيحة الشرطى .. فوثب من النافذة .

* * *

كانت الساعة منتصف الخامسة عندما عاد القديس الى المنزل . فلما دخل الغرفة . تحولت اليه جميع الانظار . وكان روجر اول من لاحظ على وجهه دلائل الفشل .

قال :

— يخيل الى انك لم تنجح .

فاجاب بهدوء :

— نعم . اننى لم انجح . فالمواصلات التليفونية معطلة ولم اتلق ردا على الاشارات التلغرافية التى ارسلتها من

محطة السكة الحديد الى محطة (ساكسموند) .

— وهل اكتشف القوم امرك فى القرية ؟

— نعم .. ولكنى اقتحمت مكتب البريد بنجاح .

وزعمت اننى من رجال قلم المخابرات . وقد صدق احد الشرطة هذا الزعم فى البداية ولكن حدث لسوء الحظ انه راح يبحث فى جيبه عن بعض الاوراق . فعثر بنشرة بوليسية عليها صورتى .

فصمت روجر قليلا ثم قال :

— كان يحسن بك ان تصارحه بالحقيقة كلها .

— كان من المستحيل ان يفهمنى او يصدقنى . انه من اولئك الشرطة الذين لا يفهمون غير الأوراق الرسمية . وبعد فقد كنت وصفته بالغباوة . فاثرت بذلك موجدته وحنقه .

فعض روجر شفته وقال :

— ما اشبهنا الان بقوم قذفت بهم العاصفة الى صخرة فى وسط المحيط ..

فهتفت سونيا ديلمار :

— هل فكرت يا مستر تمبلار فى سيارة الاسعاف التى نقلونى بها الى هنا .

وهنا فقط تكلم ماريوس .. فقال وعلى شفتيه ابتسامة مقيتة :

— هذه السيارة قد عادت الى لندن توا يا آنستى العزيزة .

فتحول اليه القديس .. وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

— اغتبط بانتصارك ما شئت يا ماريوس .. واقسم لك انه آخر انتصار تحرزه .

انك ارتكبت كثيرا من الجرائم .. وافسدت ضمائر الكثيرين من الناس .. ولوثت الجو بانفاسك اكثر مما يجب .

لقد كان بودى ان اترك لك فرصة للدفاع عن نفسك . وان اقتلك فى نضال شريف .. ولكنى عدلت عن هذا الراى ... وساقتلك الان فى التو واللحظة . اننى لم اقتل انسانا قط فى حياتى .. ولكنى ساقتلك وانا مرتاح البال والضمير .

قال ذلك .. وشهر مسدسه .. وصوبه الى ماريوس .. وفى عينيه نية القتل .

وفجاة قال روجر :

— الا توجد اية وسيلة لمنع الجريمة التى دبرها هذا الشيطان ؟ ان قتله الان لا يفيدنا شيئا .. ونحن احوج الى دقيقة واحدة .

فاجاب القديس :

— لا فائدة يا روجر .. ليس فى استطاعتى ان انقذ الموقف الا اذا كانت لى اجنحة .

وهنا هتفت سونيا وهى تقبض على ساعد القديس باصابع كالفولاذ :

— اجنحة ... !

ففهم القديس غرضها فى الحال .. ولمعت عيناه وهتف :

— يا الهى .. لقد نسينا طائرة ماريوس !

الفصل الثانى عشر

شكر الملك

رد القديس المسدس الى جيبه .. وفى عينيه نظرة ضاحكة.
قال محدثا ماريوس :

ــ لقد انقذك هذا الخاطر .. كنت اريد أن اقتلك كما اقتل كلبا قذرا .. ولكنى سأترك لك فرصة للدفاع عن نفسك قبل ان اقتلك .

فصاح روجر :

ــ ليس الان يا سيمون .

ــ طبعا .. ليس الان .. المهم الان ان نصعد بالطائرة باسرع ما يمكن ..

ــ ولكن اين نستطيع الهبوط بالطائرة ؟ ان اقرب مطار الى لندن هو مطار كرويدن .. وهو يبعد مائة ميل .. والوصول اليه يستغرق ..

فقاطعه القديس :

ــ لسنا بحاجة الى الهبوط يا فتى .. اللهم الا بعد ان نفرغ من مهمتنا ..

واشعل لفافة تبغ .. وراح يدخن ويفكر فى هدوء . ثم قال :

ــ اصغ الى يا روجر .. تعال معى الان لتساعدنى فى اعداد الطائرة .. اما انت يا سونيا فنرجوك البحث عن ثياب الطيران التى كان يرتديها ماريوس وربما وجدت ثوبا اضافيا.
واما انت يا ليسنج .. فعليك بالبحث عن قطعة حبل .. وشد وثاق هؤلاء الاشقياء بعضهم الى بعض بحيث لا يتسنى لهم الاتيان بحركة .

* * *

قال ذلك وانصرف مسرعا . وتبعه روجر .
ولم يجد صعوبة فى العثور على الطائرة فى الحظيرة المعدة لها .. فشرع تمبلار فى تجربة محركاتها وخفق قلبه طربا عندما سمع أزيز المحرك .
قال :

ــ والان .. عليك بأن تملأ خزان الطائرة بالبنزين ريثما ابعث اليك بسونيا ومعها ملابس الطيران .
ثم غمز بعينيه وقال :

ــ ستكونان فى خلوة تامة .. وتلك فرصة لن يهملها العاشق الذكى .

ففتح روجر فمه .. وهم بأن يقول شيئا ، ولكن القديس تركه ومضى ..
كان يريد ان يشعره بأن قلبه خلو من حب سونيا .. وبأنه كان مخطئا كل الخطأ حين سمح للغيرة بأن تنهش فؤاده .

وعاد القديس .. فقابلته سونيا فى الطريق وبين ذراعيها كمية من الثياب .. فقال لها وهو يبتسم :
ــ ان روجر فى الطائرة ايتها العزيزة .. فهل لك فى حمل

هذه الثياب اليه ؟ انه ينتظرك .

وغمز بعينيه ، فاطرقت الفتاة براسها .

قال القديس :

ــ انه يكاد ان يفرغ من مهمته .

ــ سأتى به معى ..

وتقدم الى الغرفة فوجد السير جون ليسنج راكعا على ركبتيه وهو يشد وثاق الرجال الثلاثة ويجعل منهم حزمة واحدة .

قال ليسنج وهو يبتسم :

ــ اننى لست خبيرا فى امثال هذه الشئون ..

ولكنك اديت المهمة خير اداء ..

والتفت القديس الى ماريوس وقال له بهدوء :

ــ هانذا قد قهرتك يا ماريوس ..

فنظر اليه العملاق بعينين شاردتين واجاب :

ــ اننى لا اقهر ابدا ..

سأعود اليك غدا صباحا .. واذا لم استطع الحضور بنفسى فسأرسل اليك رجال البوليس .. فاستمتع بفوزك الوهمى حتى اعود اليك ..

واغلق القديس الباب وراءه .. وتقدم مع ليسنج الى حظيرة الطائرة فى الوقت المناسب عندما افلت روجر الفتاة من بين ذراعيه ..

قال القديس محدثا ليسنج وسونيا :

ــ سأترككما الان .. ولكننا سنتقابل فى لندن .. فعليكما بالذهاب توا الى المحطة .. والرحيل فى اول قطار . ولا شك انكما فى اشد الحاجة الى النوم .. فليكن لقاؤنا اذن فى المساء .. فى منزلى .. ان الآنسة ديلمار تعرفه ..

انما ارجو الا ينطق احدكما بكلمة واحدة عن ماريوس او هذا البيت القائم فوق الاكمة .. اننى اريد تصفية حسابى مع ماريوس بنفسى .. دون تدخل رجال البوليس ..

فقال ليسنج وهو يبسط اليه يده :

ــ دعنى اشكرك من كل قلبى .. واتمنى لك التوفيق فشد القديس على يده .. وابتسم لسونيا .. ووثب الى الطائرة .

* * *

شعر القديس وهو فى الجو بنشاط عجيب بعد اليأس والخمول اللذين استوليا عليه .. فاطلق الطائرة باقصى

سرعتها . فراحت تشق الجو فوق الحقول والآكام والقرى .

وانقضى وقت طويل قبل ان يفرغ القديس من وضع خطته النهائية ..

قال اخيرا محدثا روجر :

— الم يسبق لك قيادة احدي الطائرات يا روجر ؟

فاجاب روجر :

— اننى تلقيت بعض الدروس فى قيادة الطائرات .. وقمت فعلا ببعض تجاربه .. ولكنها كانت محاولات تعسة .

— ليس أيسر من قيادة الطائرات يا عزيزى .. وما دمت قد تلقيت بعض الدروس . وقمت ببعض التجارب .. فمن السهل عليك — سيما وانك تجيد قيادة السيارة — ان تقود الطائرة .

دعني القي عليك بعض الدروس العملية .

* * *

ثم اخذ يوضح عمل كل قطعة فى جهاز الطائرة .. وختم ايضاحاته بقوله :

— ومن الخير لك ان تطير على ارتفاع منخفض .. وقد كان بودى ان ارشدك الى ما يجب أن تفعله اذا مالت

الطائرة على احد جانبيها .. ولكن ليس لدينا متسع من الوقت لسوء الحظ .

تحملق روجر فى وجهه وقال بصوت اجش :

— ماذا تعنى يا سيمون ؟؟ اننى لا افهمك ..

فاجاب القديس بهدوء :

— يؤسفنى انك ستضطر الى قيادة هذه الطائرة بنفسك بعد دقائق .. لان لدى عملا آخر يضطرنى ان اتركك وحدك فى الطائرة .

فافلتت من شفتى روجر صيحة ذعر وهتف :

— يا الهى .. ولكن كيف استطيع الهبوط بها ؟

— لا اعلم .. ولكن من الأفضل ان تطير على ارتفاع منخفض كما قلت لك .. وان تسقط بالطائرة فى نهر التاميز اذا اردت الهبوط .. ومتى اقتربت الطائرة من سطح الماء .. فاخرج من مكانك .. وابتهل الى الله ان يرحمك .. ثم الق بنفسك الى الماء ..

ان الطائرة ليست طائرتنا .. فلا يهمنا اذن ان تغرق .

— ولكن حياتى ؟ !

— انا واثق انه لن يصيبك اذى .. فانت فتى بارع ..

والان .. تعال واجلس مكانى امام عجلة القيادة ..

* * *

وتبادلا مكانيهما ..

قال القديس وهو ينظر الى الحقول المترامية :

— لا يزال لدينا متسع من الوقت .. فدعنى القى عليك بعض الدروس العملية ..

حرك هذا القضيب الحديدى .. فتهبط الطائرة بالتدريج .. هذا حسن .. كفى لا تستمر فى الهبوط ..

والان .. جرب ان تمر بالطائرة فوق هاتين الشجرتين .

فجرب روجر ذلك . ولكن بنتيجة لا تدعو الى الارتياح فقد اوشكت الطائرة ان تصطدم باحدى الشجرتين .

قال القديس :

— كلا .. كلا . يجب ان تروض نفسك على تقدير الابعاد والمسافات بدقة .. انت فى طائرة لا على دراجة .. وحياتك تتوقف على براعتك .

والان .. ارتفع بالطائرة . اسرع بها . اسرع . هذا حسن .. اسرع ايضا . هل ترى هذا القطار الذى يبدو

من الجو كانه لعبة من لعب الاطفال ؟ اقصد. اليه واصغ الى ..

* * *

وراح القديس يوضح خطته لصديقه . ولما فرغ من ذلك تناول حبلا متينا كان قد اعده خصيصا . فعقد هذا الحبل بطريقة خاصة .

قال :

— والان .. اهبط بالطائرة .. والحق بالقطار ..... حذار ان يفوتك ..

فاطاع روجر وهبط بالطائرة .

كان القطار يتألف من قاطرة وثلاث مركبات فقط . وكان يسير باسرع من القطارات العادية .

قال القديس :

— انت تعلم ما يجب عليك ان تفعله . فتشجع .

ونهض من مكانه .. ورفع عويناته .. وخلع ثياب الطيران .. ثم وثب على سطح الطائرة . واخذ يتحرك بحذر حتى وصل الى مؤخرتها .

كان الهواء يعصف بشدة .. ويكاد ان ينتزعه من مكانه ويلقى به من حالق .. ولكنه امسك بهيكل الطائرة بيد من

حديد .. وشد احد طرفي الحبل الى المؤخرة .. وادلى قدميه .. ثم جسمه وهو لا يزال ممسكا بالحبل .

وما هي الا دقيقة واحدة .. حتى كان القديس مدلى من الطائرة بالحبل ، والطائرة تحلق على كثب من القطار وتسابقه .

وتضاعفت سرعة الطائرة .. وامعنت فى الهبوط . فرفع القديس قدميه حتى لا يرتطم بسقف آخر مركبة من مركبات القطار .

وتخطت الطائرة القطار .. ثم ابطأت .. حتى صارت القاطرة تحتها .. وتبعتها المركبة الأولى .

وعندئذ ترك القديس الحبل .. وترك نفسه يهوى فى الفضاء .

سقط فوق المركبة الثانية .. وارتطمت احدى ركبتيه بسطح المركبة فصرخ متألما .. وشعر بالكائنات تدور حوله .. وبالدنيا تظلم فى عينيه ..

ولكنه رأى رغم الألم والدوار الذى اصابه أن روجر يطل عليه من الطائرة .. ويلوح له بمنديله ، فرفع ساعده الايمن ولوح به كذلك ليطمئن صديقه .

واستنزفت هذه الحركة آخر قواه .. فشلت اصابعه

فى سطح المركبة .. وفقد الرشد .

* * *

لم يطل اغماؤه غير لحظة .. لان شعوره بالخطر كان اعظم من شعوره بالضعف .. فأخذ يزحف فوق سطح المركبة .

وعندئذ برز من القاطرة رجل يرتدى ثياب العمال .. وقد صعد هذا الرجل الى سطح المركبة الأولى . ثم اجتازها الى سطح المركبة الثانية .. وانقض على القديس .

لم يحاول القديس أن يقاوم .. لانه شعر بقواه تخونه .. بعد المجهود العنيف الذى بذله فى اليومين الاخيرين .

قال له الرجل :

— انك هبطت من الطائرة .. أليس كذلك ؟

فأطرق القديس برأسه وغمغم :

— نعم .. وقد فعلت ذلك لكى اطلب اليكم وقف القطار فى الحال .

ان على الخط الحديدى اربع قنابل وضعت لتنفجر بمجرد مرور القطار عليها .

قال ذلك .. واغمض عينيه .. وفقد الرشد مرة اخرى .

وعندما افاق القديس من اغمائه .. احس بشئ مبلل يوضع على جبهته وشعر فى ذات الوقت بيد تهزه بعنف .

وغمغم وهو ينظر حوله :

ـ هل اوقفتم القطار ؟

رأى نفسه فى احدى مركبات القطار . وسمع حوله اصوات كثيرة وحركة غير عادية .

سأل مرة اخرى :

ـ هل اوقفتم القطار .. قلت لكم ان اربع قنابل قد وضعت على الخط الحديدى .

فاجابه صوت خشن :

ـ لقد عثرنا على هذه القنابل . وكان وقوف القطار على بعد مائة متر منها .

ثم حملق المتكلم فى وجه القديس واستطرد :

ـ واذا اردت المزيد فاعلم انى عرفتك .

فتنهد القديس وابتسم وغمغم :

ـ ما اقبح الشهرة .. اننى اعرفك ايضا يا عزيزى المفتش (كارن) لا تكلف نفسك عناء وضع الاصفاد فى يدى .. سأذهب معك الى اقرب مركز للبوليس .. دون ان ابدى مقاومة .. لاننى عاجز تماما عن كل حركة .

هز مفتش البوليس راسه ببطء وقال فى رفق :

ـ اظن ان جلالة الملك يريد ان يتحدث اليك .. انه ينتظرك فى مركبته الخاصة بالقطار .

الخاتمة

كان الوقت مساء عندما فتح روجر باب بيت تيبلار بمفتاح معه ودخل ..

وجد القديس جالسا يقرأ كتابا فهتف به :

— ماذا تفعل هنا ؟

فاجابه القديس وهو يبتسم :

— انني قضيت النهار كله نائما .. ويخيل الى من ملامحك انك فعلت مثل ذلك .

— هذا هو الواقع . والظاهر ان امر الافراج عني وصل الى السجن فى منتصف النهار . ولكن القوم خجلوا من ايقاظي . فتركوني نائما .

تصعده القديس بعينيه . ولاحظ ثيابه . وانفجر ضاحكا . قال :

— يخيل الى ان ثيابك قد انكمشت كثيرا .

— كان من الضرورى أن تنكمش بعد الحمام البارد الذى ارغمت عليه فى مياه التاميز . ولكن القوم كانوا من قلة الذوق بحيث لم يرسلوها الى (الكواء) . ولكن حدثنى هل نسيت ماريوس ؟ لقد حسبت انني لن اجدك هنا . وانك الان فى (سولتهام) .

فأجابه القديس :

— انني تذكرت فى الوقت المناسب ان ماريوس امر هرمان بأن يعود اليه حالما يفرغ من مهمته .. فخفت أن يتمكن هذا الكلب البدين من انقاذ العملاق .. ولذلك اتصلت بالمفتش

تيل .. فذهب الى سولتهام مع قوة من رجاله .. وكمن هناك حتى عاد هرمان فاعتقله .. ونقله هو وماريوس والاخرين الى السجن .

فاطرق روجر براسه ثم سأل بصوت خافت :

— وسونيا ؟

— انها اتصلت بى تليفونيا منذ ساعة وقالت انها ستأتى مع ابيها لزيارتنا فى الساعة السابعة .. آه هاانذا اسمع صوت وقوف سيارة امام الباب .

فنظر روجر الى ثيابه المنكمشة .. وارتسم الذعر فى عينيه .. فقهقه القديس ضاحكا وقال :

— اسرع الى غرفتى .. واختر لنفسك ما يروقك من ثيابى .

(تمت)

مطبعة القاهرة الجديدة

٣٢ ش الجيش ـ ت ٩٠٤٢٨٦

رقم الإيداع ٢٠٠١ / ٧٨

انتقام القديس

قال القديس :

ـ حدث منذ ثلاثة شهور أننا ... أو بالأحرى ، أن أحد أصدقائى قتل رجلا ..

كانت جريمة عادلة ، بل انها كانت الجريمة الوحيدة التى ارتضاها ضميرى .. منذ أن بدأت حياتى الحافلة بالمغامرات والمخاطر .

اما الرجل الذى ذهب ضحية هذه الجريمة فهو عالم كيميائى اخترع سلاحا من أهول اسلحة الحروب .. وقد رأيت مع اثنين من اصدقائى أن العالم فى غنى عن هذا السلاح .

٢٠ قرشا